الخلافة في صدر الإسلام (دراسة في الفكر السياسي والديني وتطوره في دولة الإسلام في مرحلة التكوين والنشأة)

The Caliphate in Early Islam (A Study in Political and Religious Thinking and its Development in the Islamic State During the Initial Phase of Foundation)

جمال جودة

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

بريد إلكتروني: jamaljuda@yahoo.com

تاريخ التسليم: (١٥/٤/٢٠٠٣)، تاريخ القبول: (٢/١٢/٢٠٠٣)

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبّع الفكر السياسي والديني في صدر الإسلام من خلال تناول دلالات مصطلح الخلافة وتطوره حتى أواخر القرن الثاني للهجرة. لقد جاء الإسلام بمشروع وحدوي سياسي لشعوب العالم يقوم على ولاء العقيدة، ولتحقيق هذا المشروع طرح مصطلح الأمة المجاهدة التي تستمد شرعيتها من السماء والموعودة في القرآن الكريم بوراثة الأرض واستخلافها. تناول القرآن الكريم مصطلح الخلافة الذي حمل دلالتين: النيابة عن الله في سكنى الأرض وإعمارها والنيابة عن الله في تطبيق شريعته على أرض الله وعباد الله جميعاً. وهكذا يلاحظ توافقاً بين أهداف الدعوة الإسلامية وبين الخطاب القرآني في موضوع الوراثة والاستخلاف، وقد استطاعت دولة الأمة المجاهدة تحقيق موعود الله في أواخر العقد الثاني من الفترة الراشدة. وانطلاقاً من ذلك فقد لقب أمير المؤمنين بخليفة الله على عباده جميعاً المسلمين منهم وغير المسلمين، وقد أقرّ جيل الصحابة وعلماؤهم بهذا اللقب، ولكن وبعد أحداث الفتنة الأولى وما أعقبها من تطورات وظهور المعارضة للسلطة واستغلال السلطة لهذا اللقب في التأكيد على الفكر الجبري وقمع المعارضة سحب علماء التابعين اعترافهم بهذا اللقب لأمير المؤمنين. إن اعتماد علماء الأمة على السنة في فهمهم للقرآن ورفعهم السنة في شعاراتهم في معارضة السلطة ودعوتهم لها إلى إتباع نهج الرسل والأنبياء شكّل عبئاً ثقيلاً عليها مما دفعها للتأكيد على كون أمير المؤمنين نائباً عن الله وخليفة له وذلك من أجل تهميش دور العلماء في المجتمع وفي التشريع. وهكذا تمسّك العلماء بالسنة النبوية مما جعلهم يميلون إلى التأكيد على أمير المؤمنين خليفة لرسول الله ρ لا خليفة لله. وقد استجاب العباسيون لوجهة نظر العلماء فاستحدثوا لأول مرة لقب خليفة رسول الله لأمير المؤمنين مع احتفاظهم بلقب خليفة الله، وبذا أضحت الخلافة نيابة عن صاحب الشرع (الله والرسول) في حراسة الدين وسياسة الدنيا. إن تمسّك السلطة بلقب خليفة الله يؤكد الحكم المطلق في دولة الخلافة ويعطيها مبرراً في قمع المعارضة، وهذا بحد ذاته يفسّر موقف علماء الأمة وفقهائها المعارض لهذا اللقب، فلم يعترفوا به ومالوا إلى لقب خليفة رسول الله، واعتبروا أنفسهم ورثة الأنبياء والرسل للتأكيد على دورهم في التشريع وفي المجتمع.

Abstract

This study aimed at maping out the political and religious thinking in Early Islam. To this end, the author tackled the significance of the term "Caliphate" and its development until the late second century of Hijra. Islam came up with a plan for political unity of all peoples of the world based on loyalty to aqida (belief). For this purpose, Islam raised the term "al-Umma al-Mujahida" –Holy warrior nation- deriving its legitimacy from Heaven and counting on the promise, in the Holy Qur'an, that it will take inheritance of the land and its subjugation. The Holy Qur'an dwelt on the term "the Caliphate" which carries two significant meanings: the institution of man as vicegerent of Allah(SWT); the institution of government as continuation of the worldly government of the Prophet Muhammad, This involves construction on this earth and implementation of Shari'a on servants of Allah. Thus, one finds harmony between the goals of the Islamic da'wa (call) and the Qur'anic discourse on the issue of inheritance of earth and its subjugation. The state of al-Umma al-Mujahida was able to realize the promise of Allah in late second decade of the Guided Caliphate Period. The Leader of the Faithful was called caliph of Allah on all Muslims and non-Muslims. The Sahaba generation (the Prophet's companions) and its scholars approved this title. However, after the events of the First Fitna and their consequences, namely the emergence of opposition to the authority, the exploitation of the authority of this title, emphasizing coercive(al-jabriyah) thinking and the suppression of the opposition, the post-companion era scholars withdrew their recognition of the leader of the Faithful. The Umma scholars' dependence on the Sunna (the Prophetic teachings), in their understanding of the Holy Qur'an and raising it in their slogans against the opposition to the authority by calling it to follow the messengers and prophets' method (approach), represented a heavy burden on the authority. This forced the opposition to assert that the Leader of the Faithful was Allah's vicegerent as well as His caliph in order to marginalize the role of religious scholars in society and in legislation. Thus, the scholars adhered to the prophetic teachings (Sunna), thus making them emphasize the agreement that the Leader of the Faithful was the successor of the Prophet of Allah and not the vicegerent of Allah. When the Abbassid era emerged, they responded positively to the scholars' point of view; for the first time, they introduced the title "Khalifata Rasul Allah" to the Leader of the Faithful but at the same time kept the title vicegerent of Allah. In this, the caliph became deputy for Allah and His messenger in guarding the religion and worldly policy. The authority's adherence to the title of vicegerent of Allah emphasized the absolute rule in the state of caliphate and gave it the justification to suppress the opposition, This in itself explains the Umma scholars' and jurisprudents' opposed attitudes towards this title. They did not recognize it and tilted towards the title of successor of Allah's messengers and considered themselves as those who inherit Prophets and Messengers thus emphasizing their role in legislation as well as in society.

تقديم

أطلق علماء الأمة على الإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين مُسمى الخلافة. وقد تناولت كتب التراث مصطلح الخلافة وأكدت جميعها أنه يعني النيابة[١]، ولكنها اختلفت فيما بينها حول مدلول "الخلافة" الذي حمل دلالة النيابة عن الله أو عن بني البشر في السيطرة على الأرض وسكناها وإعمارها (استخلافها ووراثتها) من جهة، أو دلالة النيابة عن الله أو عن الرسل والأنبياء أو عن الحكام السابقين في الحكم من جهة أخرى.

امتد هذا الخلاف ليظهر في الدراسات الحديثة سواء لدى الكتاب العرب أو المستشرقين. فقد ذهب بعض الدارسين المسلمين إلى أن الحاكمية في الإسلام لله وحده، فقالوا: إن الخلافة لا تكون إلا نيابة عن الله فقط[٢]، بينما رأى البعض الآخر أنها لا تكون إلا نيابة عن الرسول ρ في الحكم، وهكذا كانت أيام الراشدين، ولما جاء الأمويون استبدلوها خلافة رسول الله بخلافة الله[٣]، ومنهم من رفض وصف إمارة المؤمنين بالخلافة سواء كانت نيابة عن الله أو عن رسول الله ρ[٤].

أما المستشرقون فقد رأى أكثرهم أن الخلافة في الأصل عنت النيابة عن الرسول ρ في الحكم، لكن أمراء المؤمنين غيروا هذه الدلالة إلى النيابة عن الله أي من خليفة رسول الله ρ إلى خليفة الله[٥]. واختلفوا فيما بينهم في فترة تغيير هذه الدلالة، فقد رأى أكثرهم أن ذلك كان أيام عثمان بن عفان (٢٣هـ/٦٤٣م-٣٥هـ/٦٥٥م)[٦]، ومنهم من استنتج أن ذلك كان في العقد الأخير من خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤٠هـ/٦٦٠م-٦٠هـ/٦٧٩م) وذلك اعتماداً على أول قطعة نقد ظهر عليها نقش "خليفة الله" في سنة ٥٨هـ/٦٧٧م[٧]، وذهب البعض إلى أن أول ظهور لمصطلح خلافة الله كان في الفتنة الثانية (٦٤هـ/٦٨٣م-٧٢هـ/٦٩١م) وذلك بناءً على دراسة قام بها لقصيدة منسوبة إلى حسان بن ثابت (ت٦٠هـ/٦٧٩م) قيلت في هذه الفترة[٨]. وأشاروا جميعاً إلى أن العباسيين - ولأسباب سياسية - أعادوا دلالة خلافة رسول الله إلى الاستخدام. ومالت بعض الدراسات الاستشراقية - كعادتها في نفي دور التراث العربي الإسلامي في تشكيل مؤسساتهم - إلى أن العرب أخذوا فكرة الخلافة عن غيرهم من الأمم[٩].

إن من يمعن النظر في كتب التراث الإسلامي؛ يجد أن عدداً من المصطلحات الحضارية يحمل أكثر من دلالة، وكل دلالة تغاير الدلالة الأخرى في المفهوم أو تختلف عنها كثيراً أو قليلاً. ولعل هذا يفسر لنا ما نجده في الدراسات بين مؤيد لهذه الدلالة ومعارض لتلك. وإذا ما دُرست كل دلالة في إطارها التاريخي اتضح أن هذا المصطلح قد تغيّرت دلالاته أو دخل عليه شيء من التطور والتغيير من فترة لأخرى، وبذا يمكن القول إن كل دلالة تعبّر عن مفهوم ذلك المصطلح في فترة معينة. وينطبق هذا على سبيل المثال لا الحصر على كثير من المصطلحات مثل القصص والفيء والصدقة والجزية والخلافة موضوع دراستنا في هذه الورقة.

لم يكن هدف الدراسة التعرف إلى دلالات مصطلح الخلافة وفترة ظهور كل منها فقط، بل تهدف كذلك إلى حل الخلاف بين الدراسات السابقة حول الموضوع، ناهيك عن توضيح طبيعة السلطة في دولة الإسلام،

كيف رآها الحكام وفهمها أمراء المؤمنين وما موقف علماء الأمة من ذلك. ويعد هذا على درجة كبيرة من الأهمية في هذه الفترة، التي يتحدث فيها الجميع عن الإسلام السياسي سواء في الدول الإسلامية أو غير الإسلامية.

القرآن الكريم والخلافة

تناول القرآن الكريم موضوع الوراثة والاستخلاف في آيات كثيرة، وعلى الرغم من عدم ورود كلمة "الخلافة" بحرفيتها في آياته الكريمة؛ إلا أنه وردت تعبيرات: خليفة وخلفاء وخلائف ووراثة، وهذه على علاقة مباشرة في مفهومها ومعناها بمصطلح الخلافة. يقول تعالى في قصة الخلق "*وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم مالا تعلمون*"(١٠). لقد أجمع المفسرون على أن آدم، أبو البشر، هو الخليفة المقصود في هذه الآية. ومن اللافت للانتباه أن كبار علماء الصحابة من أمثال عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ/٦٥٢م) وعبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ/٦٨٧م) قالا إن آدم كان خليفة الله أو نائباً له في وراثة الأرض واستخلافها أو في سكناها وإعمارها هو وبنوه، بينما رفض شيخ علماء التابعين الحسن البصري (ت ١١٠هـ/٧٢٨م) ذلك وقال: إن آدم ونسله خلفوا الملائكة، ولم يخلفوا الله في سكنى الأرض وإعمارها، وإن الأمم تخلف بعضها بعضاً(١١). وبذلك رفض الحسن البصري دلالة خلافة الله التي قال بها علماء الصحابة، ورأى أنها خلافة أو نيابة عن مخلوقات الله في سكنى الأرض.

وتناول القرآن الكريم موضوع الاستخلاف في مجال حديثه عن قصص الأمم الماضية التي ظهرت وسادت على حساب أمم أخرى. يقول تعالى مخاطباً قوم ثمود "*واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح*"(١٢) ويقول جلّ وعلا في حالات أخرى "*ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون*"(١٣) ويقول عزت قدرته "*هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات*"(١٤) ويقول تعالى "*إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء*"(١٥). يرى العلماء المفسرون لهذه الآيات مثل قتادة بن دعامة السّدوسي (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) وشيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ/٩٢٢م) أن دلالة الخلافة في هذه الآيات هي النيابة عن بني البشر والأمم تخلف بعضها بعضاً١٦. وهكذا رفض علماء التابعين ومن جاء بعدهم اعتبار بني البشر خلفاء الله في أرضه وأكدوا أنهم خلفاء من سبقهم من الأمم.

هذا وقد أطلق القرآن الكريم على النبي الكريم الذي جمع بين النبوّة والملك خليفة، يقول سبحانه "*يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب*"(١٧). ويرى المفسرون: السّدي وقتادة والطبري أن الله أعطى

الملك لداود، واستخلفه من بعد الرسل والأنبياء ليحكم في الناس بالحق، أي أن دلالة الخلافة حسب رأيهم هي النيابة عن الرسل والأنبياء في الحكم(١٨) وبالمقابل فإن عمر بن الخطاب(ت ٢٣هـ/٦٤٣م) وعمر بن عبد العزيز(ت ١٠١هـ/٧١٩م) أكدا على أن داود عليه السلام كان خليفة لله في الحكم، أي أن دلالة الخلافة حسب رأيهما هي النيابة عن الله(١٩)، وبذا توافق موقف العمرين مع موقف علماء الصحابة من كون الإمامة هي خلافة لله أو نيابة له في الحكم، وهذا ما لم يره علماء التابعين وتابعيهم حينما ذهبوا إلى أنها خلافة للرسل والأنبياء ولبني البشر.

يبدو واضحاً - مما سبق - أن القرآن الكريم ترك دلالة الخلافة غامضة، ولم يُشر بشكل واضح إلى أنها تعني النيابة عن الله أو عن الرسل والأنبياء أو حتى عن بني البشر. لكن الشيء اللافت للانتباه أن علماء جيل الصحابة أعطوها دلالة النيابة عن الله، بيد أن علماء جيل التابعين وتابعيهم أشاروا إلى أنها نيابة عن بني البشر أو عن الرسل والأنبياء. وفي هذا ما يشعرنا أن علماء جيل الصحابة اعتبروا الخلافة نيابة عن الله بينما غيّر علماء التابعين فَهْمَ شيوخهم وأساتذتهم وقالوا إنها نيابة عن الرسل والأنبياء أو عن بني البشر. وهنا يمكن القول إن تطوراً قد حصل في دلالة الخلافة في القرن الهجري الأول كما سنلاحظ لاحقاً.

موعود الله بالوراثة والاستخلاف

لقد وجّه الخطاب القرآني أنظار المسلمين إلى الخارج، وشدّ انتباههم إلى الفتوح، وذلك حين وعدهم بوراثة الأمم الأخرى واستخلافها إن هم آمنوا بالله وكانوا من الصالحين. يقول تعالى "*وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون*"(٢٠) ويقول تعالى في الموضوع نفسه في آية أخرى "*ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون*"(٢١). يبدو أن هذا الخطاب القرآني الذي أكّد على الوراثة والاستخلاف من خلال المشيئة الإلهية شكّل الأيديولوجيا التي قامت عليها الدعوة الإسلامية، ظهر هذا واضحاً في حركة الفتوحات الإسلامية كما سنلاحظ في الفقرات القادمة.

إن الغالبية العظمى من الآيات التي تناولت هذا الموضوع كانت مكية، وإذا ما عرفنا ظهور دور مكة التجاري والديني والاجتماعي والثقافي بين العرب في جزيرتهم عشيّة ظهور الإسلام، بعد أن أصبح المكيون تجاراً محليين وعالميين، وأصحاب الإيلافات، وأهل الحمس، وأهل الله، وأضحت مكة محجّة العرب(٢٢)، فإن هذا الخطاب يتوافق وميول المكيين وتطلعاتهم في السيطرة والنفوذ. ويشير تراث السيرة النبوية في مكة إلى أن الرسول ρ تحدث معهم عن موعود الله بالوراثة والاستخلاف حين خاطبهم مراراً: إن هم آمنوا به وبدعوته فسيفتح الله عليهم أرض فارس والروم(٢٣).

ولما لم يستوعب زعماء مكة ورجال أعمالها فكر الرسول ρ هذا، من باب خوفهم على مصالحهم[٢٤]. بدأ الرسول ρ في البحث عن طرف آخر يدعمه في مشروعه هذا فهيأ الله له الأنصار، فكانت بيعة العقبة الثانية سنة ٦٢٢م مع سكان المدينة المنورة، والتي تمثل تحولا في الدعوة حين بدأت الأهداف السياسية لها بالظهور، فهاجر الرسول ρ وصحابته إلى المدينة، وأضحى الإسلام يعني بيعة الرسول ρ على السمع والطاعة، والانضمام إلى دار الهجرة في المدينة، والمشاركة في الجهاد حين فرضه الوحي بعد وصول رسول الله إلى المدينة، وهنا طرح الرسول ρ مصطلح الأمة بمفهومه السياسي الديني الذي يقوم على الفكر أو ولاء العقيدة، الذي شكّل بدوره نواة دولة الأمة المجاهدة التي أقامها الرسول ρ بقيادته في جزيرة العرب[٢٥]. وبذا أصبح الرسولρ ، إلى جانب كونه نبياً ورسولاً يوحى إليه برسالات السماء، قائداً سياسياً، وهكذا جمعت له صفات النبوة (الوحي) وصفات الملك (البيعة) مثلما جمعت لداود وسليمان عليهما السلام[٢٦]. إن جمع النبوة (الوحي) والملك (السياسة) للرسول ρيؤكد ربط الدين بالسياسة في الإسلام[٢٧]، كما أن تحقيق موعود الله بالوراثة والاستخلاف كان يتطلب مثل هذا الدمج بين الدين والسياسة.

وهكذا بدأ الرسول ρ بالعمل على توحيد الجزيرة العربية سياسياً ودينياً في دولة الأمة المجاهدة، التي تعتمد في دستورها على رسالات السماء، وقد شكّل هذا الهدف الأول للدعوة، وذلك قبل الانطلاق خارج بلاد العرب لوراثة الأرض ومن عليها لتحقيق موعود الله بالوراثة والاستخلاف، وهو الهدف الثاني والأخير للإسلام. ولما لاح للرسول ρ نجاح توحيد العرب بعد فتح مكة سنة ٨هـ/٦٢٩م، بدأ بالتطلع للخارج لتحقيق موعود الله، وأضحى الإسلام بعد فتح مكة يعني الجاهزية التامة للمشاركة في الفتوحات[٢٨]، فقال الرسول ρ حينها ***"لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة، وإذا استنفرتم فانفروا"***[٢٩]. وبدأ الرسول ρ بإرسال كتب ورسائل إلى الملوك والأمراء المجاورين لدولة الأمة يدعوهم فيها إلى دين الله الإسلام، ويحذرهم من عدم قبولهم ذلك[٣٠]، وباشر كذلك في إرسال حملات استطلاعية على حدود دولة الأمة الفتية. وهنا وفي هذه المرحلة الحرجة توفي رسول الله ρ فجأة سنة ١١هـ/٦٣٣م، وانقطع بذلك الوحي، وانتهت النبوة، وذلك قبل أن يكمل الرسول ρ موعود الله له ولأمته باستخلاف الأمم الأخرى ووراثتها.

ولما تولى أبو بكر الإمارة كان جل اهتمامه وصحابته مُركَّزا على قمع حركة الردة وإعادة العرب إلى راية الإسلام، وتوحيد الأمة من جديد، وتوجيهها إلى جبهات الفتوح لتحقيق الوراثة والاستخلاف، وقد تم له ولعمر ولعثمان بن عفان ذلك.

خاطب أبو بكر المسلمين عندما دعاهم للتوجه إلى جبهات الفتوح ***"واعلموا أن رسول الله ρ كان عَوّل أن يصرف همّته إلى الشام فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه، ألا وإني عازم أن أوجه أبطال المسلمين للشام بأهليهم ومالهم، فإن رسول الله ρ أنبأني بذلك قبل موته حين قال: زويت لي الأرض، فرأيت مشارقها، ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي، ما زوي لي منها"***[٣١].

لقد كان المسلمون، وبخاصة صحابة الرسول ρ، يعون هذا تماما، وإن مشاركتهم في الفتوح تعبيرٌ عن إيمانهم بذلك، يظهر هذا واضحا في حديث أحد قادة الروم لهرقل عن الجيوش الإسلامية التي وصلت إلى الشام "***قد أتتك العرب، وجمعوا لك جموعاً عظيمة، وهم يزعمون أن نبيهم، الذي بعث لهم، اخبرهم أنهم يظهرون على هذه البلاد، وقد جاؤوك وهم لا يشكّون أن هذا يكون، وقد جاؤوك بأبنائهم ونسائهم تصديقاً لمقالة نبيهم***"(٣٢).

ولما تولى عمر بن الخطاب الإمارة حث المسلمين على المشاركة في الجهاد قائلاً: "***أين المهاجرون عن موعود الله، سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها***"(٣٣). وروي أن جيش الفرس خطف مسلماً من جيش سعد بن أبي وقاص، فقال له رستم: "***ما جاء بكم، وماذا تطلبون؟ فقال: جئنا نطلب موعود الله أرضكم؟***"(٣٤). وقد عبر عن هذا كله رسول سعد بن أبي وقاص إلى رستم قبيل القادسية "***انه كان من رسالة نبي العرب (ص) استخلاف الأرض وتوريثهم إياها***"(٣٥).

استغرق تحقيق موعود الله بالوراثة والاستخلاف من سنة ١٣هـ/٦٣٤م وحتى حوالي سنة ٣٠هـ/٦٥٠م، حين تم القضاء كلياً على دولة الفرس(٣٦) والسيطرة على أراضيها كلها في العراق وفارس وخراسان وأذربيجان وقزوين، وتم طرد بيزنطة من بلاد الشام وارمينية ومصر وبرقة وطرابلس الغرب، وانتشر المسلمون على هذه البلاد، وانشأوا الأمصار والأجناد، ووضعوا دواوين الجند، وعقدوا الاتفاقيات وعهود الصلح مع سكان البلاد المفتوحة.

وهكذا استكملت دولة الأمة في العقد الأخير من خلافة عثمان بن عفان نجاحها في تحقيق موعود الله بوراثة الأمم المجاورة واستخلافها، وهنا يمكن الحديث عن ظهور دولة الخلافة لأول مرة بالمفهوم القرآني للوراثة والاستخلاف، وبناءً على ذلك فقد تحولت دولة الأمة، التي كان جل رعاياها من المسلمين وجزءاً قليلاً لا يذكر من أهل الذمة إلى دولة الخلافة التي أصبح أغلب رعاياها من أهل الذمة. ومن المتوقع أن يكون لهذا كله الأثر الواضح في تغيير دلالة الخلافة كما سنلاحظ لاحقاً.

خلافـــة الله

أشرنا من قبل أن الله قد جمع لسيدنا محمد ρ النبوة (الوحي) والملك (البيعة) كما جمعها من قبل لسيدنا داود عليه السلام. واعتماداً على هذا ألا يمكن القول إن رسول الله ρ كان نائباً عن الله في تنفيذ شريعته؟ أو أنه كان في حقيقة الأمر خليفته في عباده؟ يبدو أن ذلك كان كذلك، ولكن لماذا سكتت كتب التراث عن هذا؟ الجواب يكمن في ظهور خلافة الله لأمراء المؤمنين بعد وفاة رسول الله ρ، فكان لابد من التفريق بين النبوة (رسول الله) والخلافة (خليفة الله) لأن النبوة تميزت عن الخلافة بالوحي (القرآن).

شكلت وفاة الرسول ρ فراغاً سياسياً في دولة الأمة، وبذا وقبل أن يوارى جثمانه الطاهر التراب بويع أبو بكر الصديق بتولي قيادة الدولة خلفاً لرسول الله ρ. وإذا ما دققنا النقاشات التي دارت في سقيفة بني ساعدة لم نجد أحداً قد تطرق لمصطلح الخلافة بل تحدث الجميع عن الإمارة وتنصيب أمير للأمة(٣٧).

ظهر بعد تولي أبي بكر الإمارة مصطلح سياسي جديد إلى جانب مصطلح الأمة ألا وهو "الجماعة"، الذي دل على المبايعين لأبي بكر أميراً، وكانوا من سكان المدينة المنورة، وتبعهم من لم يرتد عن الإسلام من عرب الحجاز(٣٨). وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إن أبا بكر كان أميراً للجماعة.

واللافت للانتباه أن الرواة يفجأونا مباشرة، وبعد بيعة أبي بكر من الجميع في المدينة أميراً للجماعة، بدعوته خليفة رسول الله ρ، وتضيف الروايات أنه كان يكتب في مراسلاته إلى عماله وقادة قواته وشيوخ العرب: من أبي بكر خليفة رسول الله (٣٩)، ولأن أبا بكر تولى الإمارة بعد رسول الله ρ مباشرةً وخلفاً له فمن المعقول وصف إمارته بخلافة رسول الله ρ .

وهناك رواية فريدة يرويها ابن أبي مليكة التيمي(ت١١٧هـ/٧٣٥م) وهو أحد علماء القبيلة التي ينتمي إليها أبو بكر الصديق نصها "***قيل لأبي بكر: يا خليفة الله, فقال:لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله, وأنا بذلك راض***"(٤٠). وإذا عرفنا أن ابن أبي مليكة ولد في الفترة السفيانية وتوفي في الفترة المروانية الثانية أدركنا أنه من العلماء التابعين, الذين عاشوا في فترة ساد فيها لقب خليفة الله لأمير المؤمنين من جهة, ومن جهة أخرى تراجع خلالها العلماء عن دلالة النيابة عن الله لمصطلح الخلافة، وذهبوا إلى أن الخلافة هي نيابة عن الرسل والأنبياء وبني البشر. وهكذا حاول ابن أبي مليكة في روايته هذه أن يشير إلى أن الخلافة تعني النيابة عن الرسول ρ من جهة كما أنها تعني النيابة عن الله في نفس الوقت من جهة أخرى، وذلك عندما نرى أن أبا بكر لم يرفض لقب خليفة الله رفضاً تاماً بل فضل أن يقال له خليفة رسول الله ρ .

ولما مرض أبو بكر الصديق مرض الموت استخلف مكانه لإمارة الجماعة عمر بن الخطاب. وهنا تقدم لنا المصادر عدة روايات تصف إمارة عمر بالخلافة بدلالات عديدة، تقول الأولى: أن عمر كان يكتب إلى عماله وقادة جيوشه "***من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر الصديق***"(٤١). إن دلالة الخلافة هذه مقبولة جداً، وتعني تولّيه الإمارة بعد أبي بكر الصديق. ويفترض أن أمراء المؤمنين جميعهم كانوا خلفاء لمن سبقهم من الأمراء، لكن هذه الدلالة اختفت بعد عمر بن الخطاب، وذلك لارتباط الإمارة أو الخلافة بصاحب الشرع، أو بما في الكتاب أولاً وبسنة رسول الله ثانياً. وجاء في رواية أخرى أن عمر بن الخطاب نودي: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال "***إن هذا الأمر يطول مع توالي الأمراء، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فدعي بأمير المؤمنين***"(٤٢). ويبدو أن الراوي هنا يحاول إظهار دلالتين لكلمة الخلافة، ويدمجهما معاً، الأولى أنها نيابة عن رسول الله في الحكم، والثانية أنها نيابة عن أبي بكر في الحكم في نفس الوقت(٤٣)، ولا شك أنه أراد من تكرار لفظة خليفة ربط الخلافة أو الإمارة كمؤسسة سياسية دينية برسول الله ρ إلى جانب كونه خليفة لأبي بكر الصديق في حقيقة الأمر. وهناك رواية

ثالثة جاء فيها، أن المغيرة بن شعبة قال ***لعمر "يا خليفة الله، فقال عمر: ذاك نبي الله داود، فقال له: يا خليفة رسول الله، فقال له: ذاك صاحبكم المقصود، يعني أبا بكر، فقال: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال: ذاك أمر يطول، فقال في النهاية يا عمر، فردّ عليه، لا تبخسن مكاني شرفه، أنتم المؤمنون، وأنا أميركم"***(٤٤)، فلقب بأمير المؤمنين. وتحاول هذه الرواية عرض دلالات كلمة الخلافة جميعها باعتبارها نيابة عن الله في الحكم، أو عن رسول الله ρ، أو عن أبي بكر كونه تولى الإمارة من بعده, فرفض عمر كل هذه الدلالات، واستحدث لقب أمير المؤمنين.

ومما يلفت النظر أن الروايات آنفة الذكر تظهر وكأن لقب الخلافة هو الأصل ولقب الإمارة هو المستحدث، وهذا لا يمكن قبوله تاريخياً، لأن العكس هو الصحيح(٤٥). لكن من الواضح أن عمر بن الخطاب استحدث مصطلح أمير المؤمنين ليحل محل مصطلح أمير الجماعة، وهذا أمر يتفق والتطورات السياسية التي حدثت للدعوة الإسلامية، وذلك بعد الانتصارات الأولى في الفتوحات أيام عمر حين التفّ العرب جميعاً، ولأول مرة، حول الراية الإسلامية، ودخل الإيمان بالله وبرسوله إلى قلوبهم جميعاً عن قناعة بعد المكتسبات التي حققها الإسلام، فأضحى المسلمون جميعاً مؤمنين وتوسعت الجماعة لتشمل العرب جميعاً، فمن المعقول أن يصبح أمير الجماعة أميراً للمؤمنين.

واعتماداً على موقف علماء الصحابة من تفسير مصطلح الخلافة الوارد في القرآن الكريم بأنه النيابة عن الله يمكن القول إن إمارة أبي بكر للجماعة وإمارة عمر للجماعة ومن ثم للمؤمنين كانت في حقيقة الأمر خلافة لله أو نيابة عنه في تنفيذ شريعته، هذا مع الاعتراف بأن أبا بكر كان خليفة لرسول الله ρ من كونه خلفه في الإمامة، وكان عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر الصديق كونه خلفه في منصبه كذلك. ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن دلالة الخلافة بمعنى تولي الإمارة بعد الأول أو خلفاً له، والتي سميت من خلالها إمارة أبي بكر خلافة لرسول الله وإمارة عمر خلافة لأبي بكر قد اختفت كلياً بعد عمر بن الخطاب، وبذا فإن خلافة أبي بكر للرسول ρ لم تتجاوز هذا المفهوم للدلالة نهائياً.

إن الذي يجعلنا نميل إلى وصف إمارة الجماعة وإمارة المؤمنين أيام أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب بخلافة الله في الحكم هو حديث الرواة عن موقف عثمان بن عفان من إمارته للمؤمنين بأنها خلافة لله دون ذكرهم لأي سبب لتبنّيه هذه الدلالة بدلاً من دلالة خلافة رسول الله فيما إذا كانت هذه الدلالة هي الدارجة حتى الآن كما تدعي الدراسات الحديثة. فقد وصف عثمان بن عفان إمارته بأنها أمر الله وعمله، فهو بذلك خليفته وينوب عنه في تطبيق شريعته، فقد جاء في رسالته إلى أهل الموسم عندما طالبه المحاصرون بالتنحّي عن الخلافة *"وأما أن أتبرّأ من الإمارة، فإن يكلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته"*(٤٦) وفي نص آخر يذكر أنه قال: *"فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله وخلافته"*(٤٧) وقيل إنه قال للمعارضين *"أنا عبد الله وخليفته"*(٤٨). هكذا يصرح عثمان أن الإمارة هي إمارة الله، وهو الذي يتولاها وينوب عنه في

تنفيذها أي أنه خليفة الله. وفي هذا ما يذكرنا بصحة ما قاله ابن خلدون بعد أن عرّف الإمامة بأنها نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا، قال "*إنه سبحانه جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بأمور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردّهم عن مضارهم*"[٤٩].

سبق أن أشرنا إلى ظهور دولة الخلافة بما يتوافق والخطاب القرآني من وراثة الأمم واستخلافها في العقد الأخير من خلافة عثمان بن عفان، لقد كان لهذا كبير الأثر في تغيير دلالة الخلافة، وذلك أن مسؤولية أمير المؤمنين توسعت لتشمل رعايا دولة أضحى فيها أهل الذمة يشكلون الغالبية العظمى لسكانها، زد على ذلك أن مسؤولية أمير المؤمنين أصبحت الآن مسؤولية عالمية تتفق ومفهوم الوراثة والاستخلاف للأرض ومن عليها، وهذا كله يفسر لنا تغير دلالة الخلافة من الآن فصاعداً في كتب التراث وذلك حين أضحى أمير المؤمنين مخاطباً بــ: خليفة الله في أرضه[٥٠] أو خليفة الله في عباده أو في خلقه أو في بريته[٥١] أو خليفة أهل الأرض أو خليفة الأنام[٥٢].

ومما زاد في استخدام هذه الدلالة الجديدة توثيقاً، اعتقاد أهل الذمة بها، فقد كانوا يعترفون بها للحاكم البيزنطي والفارسي، ففي القرن السادس الميلادي تولى القيصر السلطة الدينية إلى جانب سلطته السياسية، وحكم من خلالهما، إذ أكد القيصر دائماً على فكرة الجبر وتسلمه سلطاته من خلال مشيئة الرب، وان الله هو الذي اختاره لهذا المنصب من دون الناس، وأوضح أن أفعاله صادرة عن إرادة الله ومشيئته، فهو بذلك ممثل المسيح على الأرض[٥٣]. ويعبر كسرى انوشروان عن الفكرة نفسها في أواخر القرن السادس الميلادي عندما قال: "*إن الله تبارك وتعالى إنما خلق الملوك لتنفيذ مشيئته في خلقه, فلذلك نقول بأنهم خلفاء الله في أرضه*"[٥٤] وبذا فمن المتوقع أن أهل الذمة كانوا يعترفون بأن أمير المؤمنين هو خليفة الله عليهم أيضاً.

واعتماداً على هذا يصبح موقف القراء (العلماء) الذين عارضوا التحكيم في صفين مقبولاً، فمن المفروض أنهم كانوا يعتقدون أن الإمارة هي خلافة الله في الحكم، وذلك عندما رفضوا أن يُحَكِم عليّ ومعاوية الناس في أمر الله أو خلافته، التي أعطاها الله له أصلاً[٥٥] فقالوا لعلي بن أبي طالب: "*انسلخت من قميص البسكه الله، واسم سماك الله به، يعنون خليفة الله، ثم انطلقت فحكمت في أمر الله أو دين الله الرجال، لا حكم الا الله*"[٥٦].

يبدو كذلك أن محاججة عثمان بن عفان المعارضين، الذين تزعمهم القراء (العلماء)[٥٧]، بأن امارته هي خلافة لله شكلت الضربة الأولى لهم، وقد استمر هذا أيام بني أمية مما دفعهم بعد ظهور سنة الرسول ρ الى تغيير موقفهم من هذه الدلالة أو هذا اللقب لإمارة المؤمنين كما سنلاحظ في الفقرات القادمة.

وتجمع المصادر التاريخية والأدبية على استمرار دلالة النيابة عن الله لمصطلح الخلافة أيام بني أمية، ولم يظهر من بينهم، وحتى عمر بن عبد العزيز، من فكر في وصف إمارته بخلافة رسول اللهρ، وهكذا خوطب جميعهم من القادة والأمراء والشعراء والجند والعامة بخلفاء الله في أرضه وعلى عباده، فقد خوطب بهذا معاوية بن ابي سفيان[٥٨] ويزيد بن معاوية[٥٩] وعبدالله بن الزبير[٦٠] وعبد الملك بن مروان[٦١] والوليد بن عبدالملك[٦٢]

وسليمان بن عبدالملك[٦٣] وعمر بن عبدالعزيز[٦٤] ويزيد بن عبدالملك[٦٥] وهشام بن عبدالملك[٦٦] والوليد بن يزيد[٦٧]، وقد وصف كل من الوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد يزيد امراء بني امية بخلفاء الله[٦٨].

وكذلك استمر العباسيون بوصف إمارتهم بخلافة الله، ومنهم على سبيل المثال أبو العباس السفـاح[٦٩] وأبو جعفر المنصور[٧٠] والمهدي[٧١] والهادي[٧٢] وهارون الرشيد[٧٣] وغيرهم من خلفاء بني العباس[٧٤].

هذا وقد أوردت المصادر الدلالة نفسها "خلافة الله" ولكن بصيغ أخرى مثل: خليفة الرحمن[٧٥] وخليفة رب العالمين[٧٦] وولي خلافة الله[٧٧] وأمين الله[٧٨].

الفكر الجبري وخلافة الله

أقرت الديانات كلها قبل الإسلام، سواء الوضعية منها أو السماوية الفكر الجبري[٧٩]. ولما جاء الإسلام أقر القرآن الكريم في كثير من آياته هذا الفكر، وأشار في معظم الآيات بكل وضوح الى دور المشيئة الإلهية في تسيير حركة التاريخ. وأمام هذا تبنت الغالبية الساحقة من المجتمع المسلم هذا الفكر، واعتقدت به. لذا أظهر أمراء المؤمنين دور المشيئة الإلهية في اختيارهم للإمارة، وذلك في محاجتهم المعارضة التي بدأت بالظهور في أحداث الفتنة الأولى في العقد الأخير من خلافة عثمان بن عفان. ويبدو أن هذا الفكر لعب دوراً هاماً في تحديد دلالة خلافة الله وعظم شأنها حتى غدت مثل النبوة تقريباً.

يذكر الرواة أنه حينما حوصر عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ/٦٥٥م من المعارضين والمحتجّين على سياساته، وطلبوا منه التنازل عن الإمارة، وأن يدعها للأمة لتختار من تريد، علّق على ذلك قائلاً "***أما قولكم أن تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله عز وجلّ، وأكرمني به، وخصّني به على غيري***"[٨٠]. وفي رواية أخرى أنه قال لهم "***أما أن أخلع لهم أمرهم، فما كنت لأخلع سربالاً سَربَلنيه الله عز وجل، والله لأن أُقدّم فتُضرب عنقي أحبّ إليّ من أن أخلع قميصاً قمّصنيه الله***"[٨١]. ولما انتهت الفتنة الأولى، وظهرت المعارضة الحزبية السياسية الفقهية إلى جانب استمرار المعارضة القبلية كان من المتوقع أن يستغل بنو أمية الفكر الجبري، ويؤكدوا عليه، لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم، وعلى وصف إمارتهم بأنها خلافة لله. فيذكر أن معاوية بن أبي سفيان خاطب أهل الكوفة بعد تنازل الحسن بن علي عن الإمارة له وبيعتهم له "***والله ما قاتلتكم لتصوموا، ولا لتصلوا، ولا لتزكوا، وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم له كارهون***"[٨٢]، وقيل عنه أنه قال مرة "***أن عمر ولّاني ما ولّاني في الشام، ثم عثمان بن عفان بعده، فما غششت، ولا استأثرت، ثم ولّاني الله الأمر فأحسنت وأسأت***"[٨٣].

ويؤكد عبد الرحمن بن أبي بكرة، هذا الفكر عندما يروي عن الرسول ρ قوله "***تكون نبوة، ثم خلافة نبوة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء***"[٨٤]، وهذا ما حاولت أم المؤمنين عائشة قوله عندما سألها تلميذ لعبد الله بن مسعود حين بويع معاوية سنة ٤٠هـ/٦٦٠م بيعة الجماعة: بأن رجلاً من الطلقاء يبايع؟ فقالت "***يا بني لا تعجب،***

هو مُلك الله، يؤتيه من يشاء"[٨٥]، وهذا ما أكده زياد بن أبيه، عامل معاوية على العراق، حين خاطب أهل البصرة ***"أيها الناس، إنّا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا"***[٨٦].

ولما توفي معاوية وتولى ابنه يزيد الخلافة سنة ٦٠هـ/٦٧٩م خطب الناس قائلاً ***"فإن معاوية كان عبداً من عبيد الله، أكرمه الله واستخلفه، وخوّله، ومكّن له، فعاش بقدر ومات بأجل"***[٨٧]. وحينما اعترض الحسين بن علي على بيعة يزيد بن معاوية قائلاً ***"إن أبي عليّاً خير من أبيه، وأمي فاطمة خير من أمّه، وجدّي رسول الله خير من جدّه"*** علّق يزيد على ذلك قائلاً ***"إن كلّ ما قاله صحيح، وإنه إنما أُتي من فقهه، أو لم يقرأ قوله تعالى: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير"***[٨٨].

وقال عبيد الله بن زياد، عامل يزيد بن معاوية على الكوفة، لمسلم بن عقيل، رسول الحسين بن علي إلى شيعته في الكوفة ***"يا فاسق إن نفسك تمنّيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله"***[٨٩]. ولما قتل الحسين بن علي في وقعة كربلاء قام يزيد بن معاوية وخطب الناس قائلاً ***"إن قتل الحسين ليس له فيه يد، وإنما كان بقضاء الله وقدره، وأن الله هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء"***[٩٠].

واستمر المروانيون في تبني الفكر الجبري والتأكيد على دور المشيئة الإلهية في توجيه الأحداث، فقد قال عبد الملك بن مروان لما جاءه مقتل سليمان بن صرد الخزاعي، ومن معه من الشيعة التوابين، في معركة عين الوردة سنة ٦٥هـ/٦٨٤م ***"أن الله هو الذي قتله وليس غيره"***[٩١] ولما ثار عمرو بن سعيد الأشدق على عبد الملك بدمشق، فأعطاه عبد الملك الأمان ثم قتله، قال لأتباعه ومواليه ***"إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ"***[٩٢]. ولما توفي عبد الملك، وتولى ابنه الوليد الخلافة، خطب في الناس فقال ***"الحمد لله على ماأنعم علينا من الخلافة, قوموا فبايعوا فقام عبدالله بن همام السلولي وهو ينشد:***

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها"[٩٣].

ويعبر عمر بن عبد العزيز عن الشيء نفسه في رسالة إلى يزيد بن الملهب ***"أما بعد، فإن سليمان بن عبد الملك كان عبداً من عبيد الله، ثم قبضه واستخلفني، ويزيد بن عبد الملك من بعدي إن كان، وأن الذي ولّاني الله من ذلك ليس عليّ بهيّن"***[٩٤] وهذا ما عناه أحد المسلمين عندما قال لعمر ***"لا والذي أكرمك بالخلافة"***[٩٥]، وعنى الشيء نفسه معبد المغني عندما قال ليزيد بن عبد ***الملك "والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته، وارتضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة محمد"***[٩٦]. ويبدو هذا واضحاً كل الوضوح في رسالة مروان بن محمد للوليد بن يزيد عندما تولى الخلافة سنة١٢٥هـ/٧٤٢م ***"بارك الله لأمير المؤمنين، بمكان من الله حاطه فيه، حتى أزّره بأكرم مناطق الخلافة، فقام بما رآه الله له أهلاً، ونهض مُستَقلّاً بما حُمّل منها، مُثبّتة ولايته في سابق الزّبر، بالأجل المسمّى، وخصّه الله بها على خلقه، وهو يرى حالتهم، فقلّده طوقها، ورمى إليه بأزمّة الخلافة، فالحمد***

لله ***الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته ووثائق عرى دينه***"[٩٧]. وأكدّ الوليد بن يزيد في رسالته للأمصار هذا بقوله "***ثم استخلف الله خلفاءه ... فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه، واستخلفهم عليه منه... ثم أن الله، وله الحمد والمن والفضل، هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبة لها في حقن دمائها، والتئام ألفتها، واجتماع كلمتها، واعتدال عمودها، وإصلاح دهمائها، وذخر النعمة عليها في دنياها، بعد خلافته التي جعلها لهم نظاماً، ولأمرهم قواماً، وهو العهد الذي ألهم الله خلفاءه توكيده***"[٩٨].

إن زج بني أمية الفكر الجبري في خدمة أغراضهم السياسية اعترض عليه كبار العلماء، فلما سأل عطاء ابن يسار ومعبد الجهني الحسن البصري قائلين "***يا أبا سعيد,إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين، ويأخذون الأموال، ويفعلون، ويقولون: إنما تجري أعمالنا على قدر الله، فقال الحسن: كذب أعداء الله***"[٩٩]. ومن المفروض أن تعترض القدرية، ومن ثم المعتزلة على الفكر الجبري، وهم الجماعة التي تشكّلت في دولة الإسلام منذ البدايات للوقوف ضد هذا الفكر، فقد تعرض أحد زعماء المعتزلة لاستغلال بني أمية هذا الفكر في تبرير سياساتهم حينما قال "***أول من قال بالجبر وأظهره معاوية بن أبي سفيان، أنه أظهر ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذراً فيما يأتيه، ويوهم أنه مصيب فيه، وأن الله جعله إماماً وولاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية***"[١٠٠]. وأمام هذا فمن المتوقع أن يقف علماء الأمة وفقهاؤهاضد وصف إمارة المؤمنين بخلافة الله، لأن الدولة ومنذ الفتنة الأولى ربطت كما هو واضح بين سياساتها وإجراءاتها وبين مشيئة الله واختياره، الذي ينفذها نائبه أو خليفته أمير المؤمنين.

وجاء العباسيون ليؤكدوا على الفكر الجبري ويتبنّوه كذلك، فها هو أبو جعفر المنصور يقول في إحدى خطبه في أهل الموسم يوم عرفة "***أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتسديده، وأنا خازنه على فيئه، أعمل فيه بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني الله عليكم قفلاً، إذا شاء أن يفتحني لأعطياتكم، وقَسم فيئكم، وأرزاقكم، فتحني، وإذا شاء أن يقفلني أقفلني***"[١٠١]. وجاء في رسالة أبي جعفر المنصور لابن عمه عيسى بن موسى طالباً منه خلع نفسه من ولاية العهد لصالح ابنه المهدي "***فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو... الذي ابتدأ الخلق بعلمه، وأنفذ القضاء بأمره.يُدبّر ما أراد من الأمور بقدرته، ويصدرها عن مشيئته، لا قاضي فيها غيره، ولا نفاذ إلا به... يمضي قضاؤه فيما أحبّ العباد وكرهوا، ولا يستطيعون منه امتناعاً، ولا عن أنفسهم دفاعاً، رب الخلق ومن عليها له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين***"[١٠٢]. ولما رفض عيسى بن موسى طلب المنصور في البداية قال معلقاً "***ما كنت لأخلع نفسي وقدجعل الله عز وجل الأمر لي***"[١٠٣].

وقال أحد قادة هارون الرشيد في توليه الخلافة "***إن الله عز وجلّ استأثر بخليفته موسى الهادي الإمام، فقبضه إليه، وولى بعده رشيداً مرضياً، أمير المؤمنين بكم رحيماً***"[١٠٤]. ولما قُتل الأمين على يد طاهر بن الحسين، بعث بالخبر للمأمون، ومما قاله "***وكان فيما قدر الله فأحكم، ودبّر فأبرم، انتكاث المخلوع ببيعته،***

وانتقاضه بعهده، وارتكاسه في فتنته، وقضاؤه عليه القتل كسب يداه، وما الله بظلام للعبيد"[١٠٥] وقال صالح بن الرشيد لأخيه المأمون بعد قتله الأمين وتوليه الخلافة ***"رأى الله عبد الله خير عباده فملكه، والله أعلم بالعبد"***[١٠٦]، ولما قتل الخليفة الواثق أحد المعارضين له، كتب رقعة، وعلّقها في أذنه، نصّها ***"هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر بن مالك، ممن قتله الله على يديّ عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين"***[١٠٧] وقال مروان بن أبي حفصة الشاعر للمتوكل لما تولى الخلافة:

تخيّر رب الناس للناس جعفراً   فملّكه أمر العباد تخيراً[١٠٨].

يبدو واضحاً تبني الدولة في الإسلام الفكر الجبري لخدمة أغراضها السياسية بغض النظر عن حقيقة هذه الأغراض ومدى تمثيلها الإسلام، والشيء المهم واللافت للنظر هنا تأكيد الدولة على أن الله هو الذي اختار خلفاءه لتولي إمارة المؤمنين، وانطلاقاً من هذا فهم خلفاء الله على أرضه وعباده. وهنا تبدو المشيئة الإلهية واحدة في اختيار الرسول ρ لتبليغ رسالات السماء وكذلك للخليفة لتنفيذ هذه الرسالات. وهنا تتساوى النبوة والخلافة، فإذا كان النبي محمد ρ رسول الله إلى خلقه وعباده، فإن أمير المؤمنين خليفة الله على خلقه وعباده كذلك. وهذا ما عبّر عنه الشاعر مروان بن أبي حفصة للمتوكل عندما أنشده:

كانت خلافة جعفر كنبـــوة   جاءت بلا طلب وتنحـــل

وهب الإله له الخلافة مثلماً   وهب النبوة للنبي المرسل[١٠٩]

يبدو واضحاً تبني السلطة في دولة الإسلام الفكر الجبري وذلك بهدف خدمة أغراضها السياسية ويأتي في مقدمتها اخراجها من باب المساءلة عن أعمالها، ناهيك عن خدمة هذا الفكر في ترسيخ دلالة النيابة عن الله لأمير المؤمنين بين الجمهور المسلم أو التأكيد على أنه ظل الله في الأرض، لا شك ان هذا يعتبر استمراراً للنمط الشرقي القديم في الحكم الذي يقوم على فكرة الحاكم الاله، وللأسف ما زال هذا النمط سائداً في دولنا العربية حتى أيامنا هذه. لكن الحقيقة التي لا بد من التذكير بها أن علماء الأمة وفقهاءها لم يوافقوا على هذا كله.

الخلافة بين السلطة وعلماء الأمة

رافق ظهور دولة الخلافة، وتنامي الشعور العربي بدورهم التاريخي، ومسؤوليتهم العالمية، بروز حركة ثقافية عربية اسلامية تناولت فعاليات الأمة، وبدأت هذه الحركة في اتجاهين:

الأول: تمثّل في القصص الشعبي، وتزعمه القصاص الشعبيون الذين اهتموا بدور القبائل وأيامها من خلال الشعر والأدب والانساب, وظهر منهم الإخباريون ثم المؤرخون فيما بعد.

الثاني: وهو الذي يهمنا في هذا البحث، الذي تمثل في القصص الديني, وتزعم هذا الاتجاه علماء الأمة أو قراء القرآن (القصاص/أهل الذكر/أهل الوعظ والإرشاد/أهل الإفتاء).وقد اهتم هؤلاء بالقرآن وما جاء في الكتب السماوية الأخرى عن الخلق وقصص الأ نبياء والرسل، والأمم التي بعثوا إليها[١١٠]. واعتنوا كذلك بسنن

الرسل والأنبياء أو طرقهم المحمودة بما فيهم سنة رسول الله محمد بن عبدالله ρ وصحابته، وبهم ومن خلالهم بدات مدرسة أهل الحديث والمغازي بالظهور في الفترة المروانية الأولى وتبلور ظهورها في الفترة المروانية الثانية[١١١]. وقد وُصِف هؤلاء العلماء بأنهم ورثة الأنبياء والرسل[١١٢]، وشكل تلاميذهم كبار فقهاء الأمة فيما بعد.

إن المدقق في المصادرالإسلامية يميل الى عدم وجود السنة النبوية مصدراً مدوناً للتشريع قبل القرن الثاني للهجرة[١١٣]، فمن المعروف أنه لم يسمح بتدوينها في القرن الهجري الأول بدعوى الخوف من اختلاطها بالقرآن الكريم[١١٤] وتشير الروايات إلى أول محاولة لتدوينها ايام عمر بن عبد العزيز[١١٥] وبذا فهمت البنوة في الصدر الأول من الإسلام بأنها الكتاب ورسالات السماء كما أشار إلى ذلك عبد الله بن عباس[١١٦] ومما يزيد هذا توثيقاً أن الرواة الذين تحدثوا عن القرن الهجري الأول تحدثوا عن مصطلح الجماعة وأهل الجماعة، بينما تحدث تلاميذهم في القرن الثاني للهجرة عن أهل السنة والجماعة منذ أيام هشام بن عبدالملك[١١٧] مما يشعرنا بظهور دور السنة النبوية في هذه الفترة، وهذا كله يتوافق وظهور مدرسة أهل الحديث وبداية تدوينها السنة في الفترة المروانية الثانية.

إن المتمعن في السنة النبوية التي رواها علماء الأمة على اختلاف ميولهم؛ يرى أنها كانت بدافع توجيه سياسات الدولة إلى نهج الرسل والأنبياء من جهة، وإلى انتقاد الدولة في كثير من المجالات من جهة أخرى، فإذا ما قارنا الأحاديث النبوية عن الإدارة والضرائب والفيء والصدقات مثلاً فإنها لا تتوافق غالباً وإجراءات الدولة في هذه المواضيع، وبذا فقد شكل موقف علماء الأمة أو أهل الحديث فكراً معارضاً لسياسات الدولة غالباً، وهم في حقيقة الأمر يشكلون قادة المحافظين في المجتمع ويعرضون القوانين المثالية غالباً ولا يعترفون كثيراً بالتطورات وأثر حركة التاريخ في التغيير، وهكذا أضحت السنة عبئاً ثقيلاً على السلطة، ناهيك عن أن المعارضة رفعت السنة شعاراً لها، ومن خلالها حرضت العامة ضد الدولة، ولعل هذا يفسر لنا ما ذكر عن منع المروانيين العلماءَ من الحديث عن سيرة الرسول وسنته في جامع دمشق[١١٨].

إضافة إلى هذا فإن هناك تطورات سياسية حدثت في دولة الخلافة أثّرت سلباً على علاقة العلماء بالسلطة، وتمثلت هذه التطورات في أحداث الفتنة الأولى والفتن التي أعقبتها، وما تمخض عنها من انقسام الأمة وعلمائها، وبروز المعارضة الفقهية السياسية، وانتهاء بيعة الرضا (الشورى)، وتحول الخلافة أو الإمارة الى نظام وراثي، وسيادة بيعة الإكراه، وتسييس الدين للمصالح الضيقة الحزبية أو القبلية أو حتى الشخصية، وتوجيه السلطة للدين لخدمة مصالحها وسياساتها، ناهيك عن استغلالها للفكر الجبري لتبرير سياساتها وإخراجها بذلك من المساءلة، وقمعها للمعارضة باسم نيابتها (خلافتها) عن الله في الحكم، إن كل هذه التطورات كانت ستؤدي حتماً الى زيادة الهوة بين السلطة وعلماء الأمة.

ونتيجة لهذا كله سحب العلماء اعترافهم وقالوا أن إمارة بني أمية ليست خلافة لله وأطلقوا على أمراء المؤمنين منهم الملوك(١١٩)، وإن ما يؤكد ذلك روايتهم الأحاديث النبوية التي تشير إلى انتهاء الخلافة في دولة الإسلام مع مجيء بني أمية للسلطة، ومجمل هذه الأحاديث يقول: أن ما من نبوة إلا أعقبتها خلافة، وما من خلافة إلا أعقبها ملكٌ عضوض"(١٢٠). وقد حدد العلماء الخلافة بالفترة الراشدة فقط. ويبدو أن هذا الموقف للعلماء يتوافق وتبني علماء التابعين دلالة النيابة عن الرسل والأنبياء، أو عن بني البشر، وتحفظهم على دلالة النيابة عن الله لمصطلح الخلافة. هذا ما لم يره علماء الصحابة الذين عاشوا فترة الرسول وفترة الراشدين وأيام معاوية عندما أقروا أن الإمارة هي النيابة عن الله أو خلافة لله في الحكم.

واعتماداً على ما سبق يمكن القول إن رجال الفكر والسياسة في الأمة انقسموا الى قسمين في موقفهم من طبيعة السلطة أو كونها نيابة عن الله في الحكم:

الأول: الجماعة وهم ممن يمثلون السلطة بزعامة أمير المؤمنين ورجالات الدولة، وهؤلاء يعظمون إمارة بني أمية، ويعتقدون أنها خلافة لله، فهم بذلك ملتزمون بسياسات الخليفة وتعليماته، ويعدونها في الغالب حقيقة الإسلام.

الثاني: المعارضة بكل أشكالها، ويهمنا منها هنا علماء الأمة ورثة الأنبياء والرسل الذين يمثلون السنة النبوية، التي جاءت بهدف توجيه سياسات السلطة إلى نهج الرسل والأنبياء أولاً، وانتقادها في ممارساتها التي ابتعدت فيها عن عدالة الإسلام ثانياً، ولم يعترف هؤلاء بأن إمارة بني أمية هي خلافة لله واتهموها بخروجها عن كتاب الله وسنة رسوله ρ.

لا شك أن موقف العلماء هذا هَدّدَ شرعية السلطة تهديداً واضحاً، فكان لا بد للمروانيين من التأكيد على أنهم خلفاء الله، وذهبوا إلى أبعد من ذلك، حينما قالوا بأهمية الخلافة وسُمُوِها على النبوة. وقد تحدث الرواة عن هذا الموقف، يُذكر عن الحجاج بن يوسف أنه قال في إحدى خطبه في صلاة الجمعة في الكوفة موطن المعارضة "*أرسول أحدكم أكرم علية أم خليفته في أرضه؟*" مما دعا إثنان من العلماء الحاضرين، ربيع بن خالد الضبي وجبلة بن زحر، أن يقولا بلسان واحد "*لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبداً*" فاشتركا مع كثير من العماء في معركة دير الجماجم سنة٨٣هـ/٧٠٢م وقتلا فيها(١٢١). ويذكر عن الحجاج نفسه أنه قال مرة: "***إن الذين يطوفون من حول قبر محمد في المدينة الأجدر بهم أن يطوفوا بقصر خليفة الله عبدالملك لأن خليفة الشخص أفضل له من رسوله***"(١٢٢). ولما خرج المطرف بن المغيرة على الحجاج وبايع أتباعه على كتاب الله وسنة رسوله وخلع عبدالملك كتب الحجاج إليه "***عبد الملك خليفة الله هوأكرم على الله من رسوله***"(١٢٣). ويروى أن خالد بن عبدالله القسري، عامل الوليد بن عبد الملك على مكة، أمسك بأحد الحجاج من المسلمين ساكناً في بيت لعبدالله بن الزبير، المعارضين لبني أمية، فقال له "***ما أنزلك في منازل المخالف للطاعة؟ فقال: إنما مقامي أن أقمت يوماً اوبعض يوم ثم أرجع الى منزلي وليس عندي خلاف وأنا ممن يعظم أمر الخلافة (خلافة الله)،***

وأزعم أن من جحدها فقد هلك"[١٢٤]. ***والشيء نفسه أكد عليه أحد شيوخ حمير، وهشام بن عبدالملك، وذلك عندما سأل الحميري هشاماً "يا أمير المؤمنين، خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك؟ فقال هشام بل خليفتي في أهلي ، فقال الحميري فأنت خليفة الله ومحمد رسوله"***[١٢٥]. وعبر الوليد بن يزيد عن عظم شأن خلافة الله عندما قال: *"فبالخلافة أبقى الله ما أبقى في الأرض من عباده وإليها صيره"*[١٢٦] وهذا كله ما أشار إليه المقريزي عندما قال عن بني أمية: ***"إنهم جعلوا الرسول ρ دون الخليفة"***[١٢٧].

وعلى الرغم من وضوح الروايات التي تشير إلى ذهاب المروانيين أن خليفة الله أكرم عند الله من رسوله إلا أنه يصعب قبول هذه الروايات بهذا المعنى، وذلك عندما نتذكر ربطهم حركة تعريب الدواوين والطرز والنقود برسول الله ρ، فقد أظهروا اسمه جنباً الى جنب مع الخليفة وفي المنشآت الدينية كذلك. وانطلاقاً من هذا يمكن فهم الروايات على أنها محاولة من المروانيين تهميش دور العلماء في رسم سياسات الدولة، أو تهميش دورهم في وضع التشريع، أو ما يشبه الدستور في ايامنا هذه، وهذا بدوره سيؤدي الى فقدان مركز هؤلاء العلماء في المجتمع المسلم خاصة وأنهم كانوا يشكلون أهل الإفتاء أو المرجعية الأولى لدى عامة الناس، وأمام هذا يبدو أن العلماء أو الرواة بالغوا في ردة فعلهم على موقف بني أمية هذا مما جعلهم يتهمونهم بأنهم فضلوا الخليفة على الرسول ρ .

وعلى الرغم من تمسك السلطة في دولة الإسلام بدلالة خلافة الله التي تشير الى أنها ظل الله في الأرض إلا أن هذه الدلالة تؤكد من ناحية أخرى على أممية الدعوة الإسلامية، وتتمشى مع مفهوم الخلافة القرآني بوراثة المسلمين لأرض الله، واستخلاف الأمم الأخرى، وبذا كان الإسلام خاتم الديانات السماوية، فجاء معترفاً بكل الرسالات السابقة ممثلاً لها معتبراً إياها جميعاً دين الله الذي اختاره لعباده ألا وهو الإسلام، وهكذا اعتمد الإسلام أصل الديانات الحنيفية الإبراهيمية دين إبراهيم أبي الأنبياء، وأكد في دعوته على دعوة موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء[١٢٨]، وقد أقرالوحي (القرآن) بكل الكتب السماوية السابقة، واعترف بها، وجاء مصدقاً لما بين يديها[١٢٩]، وهذا كله يفسر لنا أمر الرسول ρ عبد الله بن سلاّم أن يقرأ القرآن ليلة والتوراة ليلةً أخرى[١٣٠]، وبذا كان ابن عباس يجالس أهل الكتاب للمذاكرة[١٣١] ويرى بعض المفسرين في قوله تعالى***"وإسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"***[١٣٢]. أنهم أهل الكتاب[١٣٣].

هذا هو فهم السلطة للإسلام ودولته، ويعبر الأمويون عن هذا الفهم أصدق تعبير في رسالة الوليد بن يزيد سنة١٢٥هـ/٧٤٢م للأمة بشأن البيعة لوليي عهده عندما تحدث بإسهاب عن النبوة والخلافة في الإسلام فذكر عن النبوة أولاً ما نصه ***"أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه، وجل ثناؤه، وتعالى ذكره، اختار الإسلام ديناً لنفسه، وجعله دين خيرته من خلقه، ثم اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، فبعثهم به وأمرهم به، وكان بينهم وبين من مضى من الأمم وخلا من القرون قرناً فقرناً يدعون الى التي هي أحسن، ويهدون إلى صراط مستقيم، حتى انتهت كرامة الله في نبوته الى محمد صلوات الله عليه، على حين دروس من العلم، وعميً من***

الناس، وتشتيت من الهوى، وتفرقة من السبل وطموس من أعلام الحق فأبان الله به الهدى، وكشف به العمى واستنقذ به من الضلالة والردى، وأبهج به الدين وجعله رحمة للعالمين وختم به وحيه وجمع له ما أكرم الأنبياء قبله ، وقفّى على آثارهم، مصدقًا لما أنزل معهم ،ومهيمنًا عليه، وداعيًا له، وآمراً به، حتى كان من أجابه من أمته، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به، مصدقين بما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم، منتصحين لهم فيما ينهونه، ذابين لحرمهم عما كانوا منتهكين، معظمين لما كانوا مصغرين. فليس من أمة محمد أحد كان يسمع لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله فيه مكذبًا، ولا عليه بذلك طاعنًا، ولا له مؤذيًا بتسفيه له أو رد عليه، أو جحد ما أنزل الله عليه ومعه، فلم يبق كافراً إلا استحل بذلك دمه، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه وإن كانوا آباءهم وأبناءهم وعشيرتهم ." [١٣٤].

ثم تعرض الوليد لمسألة الخلافة أو السلطة مؤكداً أن أمراء المؤمنين هم خلفاء الله ومشيراً الى مسؤوليتم العالمية من خلال التزامهم بنهج الرسل والأنبياء جميعاً لتنفيذ شرع الله على عباده أو خلقه، وحذرمن الاستهانة بالخلافة، ووضعها في مكانة عالمية حين ربط حكمة خلق الله للبشر بها. لكن الشيء المثير للانتباه عدم تطرقه للسنة النبوية وفي هذا استمرار لموقف المروانيين من علماء الأمة من أهل الحديث والسنة الذين بدأوا بسحب اعترافهم بخلافة بني أمية[١٣٥]. ويعبر الوليد عن هذا كله بقوله"***... ثم استخلف (الله) خلفاءه على منهاج نبوته حين قبض نبيه، وختم به وحيه، لإنفاذ حكمه، وإقامة سنته وحدوده، والأخذ بفرائضه وحقوقه، تأييداً بهم للإسلام، وتشييداً بهم لعراه، وتقويةً بهم لعُرى حبله ودفعاً بهم عن حريمه، وعدلاً بهم بين عباده، وإصلاحاً بهم لبلاده . فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه ورسله ، واستخلفهم عليه منه لا يتعرض لحقهم أحد إلا صرعه الله ولا يفارق جماعتهم أحد إلا أهلكه الله، ولا يستخف بولايتهم أحد ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهم الله منه، وسلطهم عليه، وجعله نكالاً وموعظةً لغيره، وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر بلزومها والأخذ بها والأثرة عليها ، والتي قامت السماوات الأرض بها ..فبالخلافة أبقى الله من أبقى في الأرض من عباده وإليها صيره"*** [١٣٦].

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن ما ورد في رسالة الوليد هذه عن النبوة والخلافة يؤكد مفهوم الخلافة ودلالتها من كونها نيابة عن الله في الحكم الذي تمسك بها أمراء المؤمنين للحصول على شرعية السماء مقارنة بشرعية الوحي للرسول الكريم، وبهذا تتساوى شرعية النبوة والخلافة لأنهما كذلك يشتركان في شرعية البيعة أو الملك ، وبذا أكد الوليد على تكليف الله لرسله وأنبيائه ومن بعدهم خلفائه، وهكذا فإذا كان محمد رسول الله جاء لتبليغ رسالات السماء فإن امير المومنين خليفة الله جاء لتنفيذ شريعة السماء.

العباسيون وخلافة رسول الله

جاء العباسيون للحكم بعد دعوة استمرت ثلاثين سنة قامت على الدعوة لآل الرسول ρ وأحقيتهم في تولي الخلافة، كما أنهم تبنوا سنة الرسول ρ ودعوا إليها، وأكدوا منذ البداية على عمومتهم للرسول ρ ، وأنهم بذلك

ورثته في الحكم[١٣٧] هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن دعوتهم تزامنت مع فترة اشتداد الخلاف بين السلطة وبين العلماء على الموقف من الخلافة والسنة النبوية، وفي فترة تخلى فيها العلماء عن كون الإمارة نيابةً عن الله وذهابهم الى أنها نيابةً عن الرسل والأنبياء، وهكذا استجاب العباسيون بعد تسلمهم السلطة الى وجهة نظر العلماء من سنة رسول الله ρ وبدأوا بتشجيعهم على تدوين سنة الرسول ρ وصحابته.

وبناءً على ذلك أدخل العباسيون دلالةً جديدةً على الخلافة هي النيابة عن رسول الله ρ أو خلافته الى جانب تمسكهم بدلالة خلافة الله، يظهر هذا في كتاب لعبد الله بن علي الى أبي العباس السفاح أول أمراء بني العباس "***أما بعد، فإن أحق الناس بالرضا والتسليم لأمر الله عز وجل، من كان إماماً لخلق الله وخليفة رسول الله***"[١٣٨]. وخاطب عبد الملك بن صالح هارون الرشيد قائلاً "***يا أمير المؤمنين، إنك خليفة الله ورسوله في أمته وأمينه على رعيته***"[١٣٩] وجاء النص بصورة أخرى "***أنك يا أمير المؤمنين خليفة رسول الله في أمته وأمينه على عترته***"[١٤٠] وجاء في رسالة للمأمون بشأن ذلك "***فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسول الله والقرابة به***"[١٤١].

استخدمت مصادرنا مصطلح خلافة الله كالآتي: خليفة الله في خلقه أو عباده أو بريته أو في أرضه بينما وردت خلافة رسول الله ρ: خليفة رسول الله في أمته. وفي هذا ما يشير الى أن دلالة خلافة الله أوسع وأشمل من دلالة خلافة رسول الله ρ، ولا شك أن الدلالة الأولى تتمشى ومفهوم الخلافة القرآني الذي يشير الى موعود الله للمسلمين بوراثة الأرض، واستخلاف أممها، وهي مسؤولية عالمية، بينما تشير الثانية الى مسؤولية أمير المؤمنين عن المسلمين فقط.

وكذلك نلاحظ هذا الفارق في الدلالتين في النصوص، فقد خاطب معبد المغني يزيد بن عبدالملك بقوله "**والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته، وارتضاه لعباده، وجعله أميناً على أمة محمد**"[١٤٢] ويبدو ذلك واضحاً في كلام علي بن الجهم في حضرة أمير المؤمنين المتوكل على الله عندما اعترض على حديث أحد الحضور للمتوكل بشأن الأعياد "***لا يجوز أن يقال لخليفة الله في عباده وخليفة رسول الله في أمته: اجعل المهرجان عيداً***"[١٤٣].

وهكذا ومنذ الفترة العباسية وحتى سقوط الخلافة بعد الحرب العالمية الأولى لقب أمير المؤمنين بخليفة الله في أرضه وعباده وبخليفة رسول الله ρ في أمته (في المسلمين). ويبدو أن غالبية فقهاء الأمة الذين عايشوا هاتين الدلالتين تحفظوا على دلالة خليفة الله، ولم يعترفوا بها، واعترفوا بوصف الإمارة بأنها خلافة لرسول الله ρ أو للنبوة لذا عرف أكثرهم الإمامة بأنها وضعت لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[١٤٤]. ويبدو أن ابن خلدون، المؤرخ والعالم المسلم الذي اهتم بكل التيارات الفكرية، كان موفقاً أكثر من الفقهاء في تعريف الخلافة عندما قال إنها نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا[١٤٥]، ولا شك أن صاحب الشرع هو الله أولاً ثم رسل الله وأنبيائه وسننهم وفي مقدمتهم سيدنا محمد بن عبدالله ρ ثانياً، وفي هذا جمع للدلالتين.

من الواضح أن مهمة الامام في حراسة الدين وسياسة الدنيا تنطلق في الأصل من النبوة (الوحي) والبيعة (الملك) في النمط النبوي ومن الخلافة (النيابة عن الله) والبيعة (الملك) في النمط الخلافي للحكم.

وفي النهاية يمكن إجمال النتائج التي توصلت اليها الدراسة بما يلي:

أولاً: لقد قامت الدعوة وحركة الفتوحات الإسلامية من خلال الخطاب القرآني الذي أكد على موعود الله للأمة الإسلامية بوراثة أرض الله وخلافتها وقد اشترط القرآن لذلك الإيمان والصلاح. وقد استطاع الرسول ρ اقامة دولة الأمة في جزيرة العرب وتوفي قبل تحقيق موعود الله.وقد تولى كل من أبي بكر وعمر وعثمان تحقيق هذا الموعود، فظهرت دولة الخلافة بمفهوم الوراثة والاستخلاف لأول مرة في العقد الثاني من امارة عثمان بن عفان, هذه الدولة التي حلت محل دولة الأمة من جهة, والتي أصبح أهل الذمة يشكلون الأغلبية الساحقة من رعاياها من جهة أخرى.

ثانياً: أن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وبعث جميع رسله وأنبيائه للناس كافةً لإبلاغهم شريعة هذا الدين، وهكذا اعتمد الإسلام الحنيفية الإبراهيمية أصل الديانات السماوية كلها، وذلك بقصد الرجوع الى الأصل والمنبع قبل التغيرات التي طرأت عليها، واعترف الإسلام بجميع الكتب السماوية التي سبقت القرآن، واعتبر هذه الديانات كلها دين الله (الإسلام)، وبذا جاء الإسلام باسم جميع الديانات السماوية السابقة وممثلاً لها ومؤكداً على صحة ما جاء فيها أصلاً ومتبعاً نهج جميع الأنبياء والرسل وسننهم. وبناءً على ذلك فإن مهمة إمارة المؤمنين هي تنفيذ رسالات السماء كلها على عباد الله جميعاً، وبذا فإن الامارة (الإمامة) هي نيابة عن الله في الحكم أو تطبيق شريعته على أرضه وعباده جميعاً. وهذا يفسر لنا وصفها بالخلافة .

ثالثاً: لقد اعتبرت إمارة أبي بكر الجماعة خلافة لرسول الله ρ من جهة، وخلافة لله في دولة الأمة من جهة أخرى، وكذلك فإن امارة عمر بن الخطاب الجماعة ومن ثم المؤمنين اعتبرت خلافة لأبي بكر الصديق أولاً، وخلافة رسول الله ثانياً، وخلافة لله في الحكم في دولة الأمة على رعاياها من المسلمين وأهل الذمة ثالثاً.

رابعاً: إن دلالة خلافة الله على أرضه وعباده، التي ظهرت مع ظهور دولة الخلافة بمفهوم الوراثة والاستخلاف في العقد الثاني من خلافة عثمان بن عفان، ارتبط بجميع رعايا الدولة التي شكل أهل الذمة فيها الغالبية الساحقة. هذا وقد اعتقد علماء الصحابة بهذه الدلالة. أما دلالة خلافة رسول الله ρ فإنها ظهرت متأخرةً وارتبط ظهورها بظهور سنة رسول الله وسنة صحابته وانتشار ثقافة القرآن الكريم في الأمصار. وقد تزعم هذه الدلالة علماء الأمة من جيل التابعين وعلى رأسهم الحسن البصري وقتادة والسّدي، وقد تحفظ هؤلاء على دلالة خلافة الله من باب معارضتهم الدولة عند خروجها في كثير من سياساتها عن نهج الإسلام كما فهموه هم من جهة ومن باب كونهم أهل الحديث والسنة عن الرسول ρ من جهة أخرى. ولما

جاء العباسيون استجابوا لعلماء الأمة فأضافوا إلى دلالة خلافة الله دلالة خليفة رسول الله أو خلافة النبوة كوصف لإمارتهم.

خامساً: كان للفتنة الأولى والتغيرات السياسية التي طرأت بعدها الأثر الواضح في تغيير موقف علماء الأمة من السلطة (الدولة) ،فلم يرَ هؤلاء أن هذه السلطة بسياساتها الجديدة تنوب عن الله في الحكم فسحبوا وصفهم لها بالخلافة، ولما تبنى هؤلاء العلماء السنة النبوية وفهموا القرآن وفسروه من خلالها اتهموا الدولة بخروجها عن الكتاب والسنة . وهكذا بدأ الصراع بين السلطة والعلماء على سياسات الدولة في كونها تمثل عدالة الإسلام أو نهج الأنبياء أو الرسل أم لا؟ فإذا كانت كذلك فإن أمير المؤمنين هو خليفة الله أو خليفة رسوله، وإذا لم تكن كذلك فإنه ليس بخليفة الله أولرسوله. وفي حقيقة الأمر ما زال هذا الصراع مستمراً بين السلطة والعلماء في عالمنا الإسلامي حتى أيامنا هذه.

سادساً: لقد لعب الفكر الجبري الذي أقره الفكر الديني وتبناه دوراً هاماً في بروز مصطلح خلافة الله وسيادته، فقد أكدت الدولة أن أمراء المؤمنين اختارهم الله من بين خلقه لتولي المسؤولية عنه في تنفيذ شريعته بين عباده، وبذا فإذا كانت مهمة النبوة تبليغ الشريعة فإن مهمة الخلافة تنفيذها، وإذا كان النبي رسول الله فإن أمير المؤمنين خليفة الله، وأن شرعيتهما كذلك متساوية في الإختيار (من الله) والبيعة وأداء السمع والطاعة. وانطلاقاً من هذا رأت السلطة من باب الوقوف أمام المعارضة، التي لم تر في خلافة بني أمية خلافة سواء لله أو للرسول، أن صاحب السلطة التنفيذية (خليفة الله) أهم وأكرم عند الله ممن بلغ الشريعة (رسول الله). ومن المتوقع أن موقف السلطة هذا انطلق من باب تهميشها دور علماء الأمة في رسم سياستها أو سن القوانين أو التشريع للمسلمين.

سابعاً:من الجدير الإشارة إليه أن السلطة أصرّت دائماً أنها تمثل ظل الله في الأرض من باب تمسكها بدلالةخلافة الله، لكن علماء الأمة وفقهاءها رفضوا هذا الوصف للسلطة في دولة الإسلام.

الهوامش

(١) اشتقت كلمة الخلافة من الفعل الثلاثي خلف، فيقال خلف فلان فلانا أي جاء بعده مباشرة أو بدلا منه وخلفه في مكانه. ويقال فلان خلف فلانا أي جاء وراءه مباشرة، ويقال خلف واستخلف فلان فلانا أي نوبه عنه أو كان وكيله في مهمته سواء في حياته أو بعد مماته، وبذا فالخلافة لغة تعني النيابة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، دة خلف. الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم، جـ١، ص١٩٩. الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، **جـ١**، ص٨٧. انظر استخدامات كلمة خلف ومشتقاتها في القرآن الكريم: البقرة ٢٥٥،٦٦،٣٠؛ آل عمران ١٧٠؛ النساء ٩؛ الأعراف ١٦٩،١٥٠،١٤٠،١٢٩؛ الأنفال ٥٧؛ مريم ٦٤،٥٦؛ الأنعام ١٦٥؛ الأنبياء ٢٨؛ الحج ٧٦؛ سبأ ٩؛ الفرقان ٦٢؛ يس ٤٥،٩؛ الرعد ١١؛ فصلت ٤٢،٢٥،١٤؛ الأحقاف ٢١؛ الجن ٢٧؛ الحديد ٧؛ هود ٥٧؛ يونس ٩٢؛ الزخرف ٦٠.

(٢) انظر: أبو علي المودودي، نظرية الإسلام السياسية، ص١٧. أسد، منهاج الحكم في الإسلام، ص٨٠. أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام، ص١٧.

(٣) انظر: الخضري، إتمام الوفاء، ص٥. أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، **جـ١**، ص٣١،٢٠. الخطيب، الخلافة والإمامة/ديانة وسياسة، ص٢٠٩، ٣٣٩. رضا، الخلافة أو الإمامة العظمى، ص١٠.

(٤) انظر:الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام، ص٢٣٢. خليل، نظام الحكم في الإسلام، ص٨٥.

(٥) انظر أهم الدراسات في هذا الموضوع:
Goldziher, I., Muhammadanische Studien, II, P.60f. Margoliouth, D., The Sense of the Title Khalifa, in: A volume of oriental studies presented to E. G. Browne, Cambridge 1922, P.324ff. Tyan, E., Institutions dud roil Puplic Musulman, I(Le Califat), Paris 1945, P.201f. Gibb, H.A.R., Studies on the civilization of Islam, London 1962, P.158f. 'Arafat, W., The Historical Background to the Elegies on 'Uthman b. 'Affan Attributed to Hassan b. Thabit, in:BSOAS(Bulletin of the school of oriental and African studies), 33(1970), P.276ff. Watt, M., God's Caliph: Quranic Interpretations and Umayyad Claims, in: Iran and Islam, ed. C. E Bosworth, Edinburgh 1971, P.565ff. Paret, R. Halifat Allah-Vicarius Dei: ein differenzieren der Vergleich, in: Melanges d'Islamologie(festschrift A. Abel), Leiden, 1974, P.224-32. Nagel, T., Rechtleitung und Khalifat, P.33f. Rotter, G., Die Umayyaden und der zweite Buergerkreig(680-92), Habilitationsschrift, P.61. Haarmann, U., Geschichte der Arabischen Welt, P.84. Lambton, A.K.S., State and Government in Medieval Islam, P.142f. Crone, P., Gods Caliph, P.1ff. Sourdel, D., Khalifa, in EI2, P.320ff. Landau, J., The Politics of Pan-Islam, P.10ff.

(٦) انظر على سبيل المثال:
Watt, God's Caliph, P.560. Tyan, Institutions, P.202. Goldziher, Muhammadanische, II, P.620.. أرنولد، الخلافة، ص٢٦

(٧) انظر: Rotter, Die Umayyaden, P.60f. Haarmann, Geschichte, P.84.

(٨) انظر: 'Arafat, The Historical., P.277. Watt, Formative., P.69, 83.

(٩) يرى البعض أن لها جذوراً بيزنطية وفارسية انظر:
Tyan, Institutions, P.439. Abel, F., Le Khalife: Presence Scare, in: Studia Islamica 7(1957), P.8ff.

(١٠) القرآن الكريم، البقرة ٣٣.

(١١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، جـ١، ص١٩٩، ٢٠٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٢، ص٧١(موقف الحسن البصري من خلافة الله أمام يزيد بن عبد الملك).

(١٢) القرآن الكريم، الأعراف ٦٩ انظر أيضاً ٧٤؛ النحل ٦٢.

(١٣) القرآن الكريم، يونس ١٤ انظر أيضاً: فاطر ٣٩.

(١٤) القرآن الكريم، الأنعام ١٦٥.

(١٥) القرآن الكريم، الأنعام ١٣٣ انظر أيضاً: الأعراف ١٢٩؛ هود ٥٧؛ إبراهيم ٢٢. الطبري، جامع البيان، جـ٨، ص٣٨.

(١٦) الطبري، جامع البيان، جـ٨، ص٣٨، ١١٤، ٢١٦؛ جـ٩، ص ٢٨؛ جـ١١، ص ٩٣، ٩٤.

(١٧) القرآن الكريم، سورةK ص ٢٦.

(١٨) الطبري، جامع البيان، جـ٢٣، ص١٥١.

(١٩) انظر: الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص١٦٢. ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ٤٦. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٨، ص ٤١٨.

(٢٠) القرآن الكريم، النور ٥٥.

(٢١) القرآن الكريم، الأنبياء ١٠٥ انظر عن موعود الله بوراثة الأرض: الأعراف ١٠٠، ١٢٨، ١٣٧؛ الأحزاب ٢٧؛ الزمر ٧٤؛ الشعراء ٥٩؛ الدخان ٢٨؛ المؤمنون ١٠؛ القصص ٥.

(٢٢) انظر أفضل وأشمل ما كتب عن هذا الموضوع: سحاب، إيلاف قريش/رحلة الشتاء والصيف.

(٢٣) الواقدي، المغازي، جـ٣، ص١٠١١؛ فتوح الشام، جـ١، ص٥؛ جـ٢، ص١٨٦. ابن هشام، سيرة النبي، ج٨، ص ٢٧. الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس جـ١، ص ٣٨٥. أبو البقاء، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، ص٤٢١، ٤٢٢.

(٢٤) انظر أفضل من كتب عن هذا الموضوع: المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، جـ١٨، ص٢٣٥-٢٤٥؛ جـ٢٣، ص٢٧٢.
(٢٥) انظر عن موضوع الأمة:
Watt, M., Mohammad at Madina, P.221-28; Islam and Integration of society, P. 11,51,58. Haarmann, Geschichte., P.35-40.
الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية/دراسة في الهوية والوعي، ص١٢٠-٨١. شلق، الأمة والدولة/جدليات الجماعة والسلطة في المجال العربي الإسلامي، ص٧-٣٠.
(٢٦) انظر إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، جـ٣، ص٤٩٦.
(٢٧) انظر: إخوان الصفا، رسائل، جـ٣، ص٤٩٥-٤٩٧. العامري، السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية، ص٢٠٧. الطبري، تاريخ الأنبياء والرسل والملوك، جـ٤، ص٢٩٤(مقولة أردشير في الدين والملك). عهد أردشير، تحقيق إحسان عباس، ص٥٣.
(٢٨) انظر: جودة، الهجرة في صدر الإسلام/دراسة في تطور الفكر الديني والاجتماعي والسياسي في مرحلة التكوين والبناء لدولة الخلافة، ص٧٧-٩٥.
(٢٩) أبو عبيد، الأموال، ص٣١٠. ابن حنبل، المسند، جـ٤، ص٢٣٩٨. أبو داود، سنن المصطفى، جـ٣، ص٣، ٤.
(٣٠) انظر هذه الكتب في: حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٩٩-١٢٥، ١١٧-١٦٠، ١٣٥، ١٢٧.
(٣١) الواقدي، فتوح الشام، جـ١، ص ٥؛ انظر: المغازي، جـ٣، ص١٠١١.
(٣٢) الدياربكري، تاريخ الخميس، جـ٢، ص٢٢٤.
(٣٣) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٤٤٥.
(٣٤) ن.م.، جـ٣، ص٥٠٨ انظر كذلك: ص٥١٧-٥٥٠.
(٣٥) ن.م، ص٥٣٢ انظر أيضاً: جـ٤، ص٢١٧(مقولة عمر بن الخطاب في استخلاف المسلمين للأمم الأخرى).
(٣٦) يقول الدينوري في آخر حديثه عن الفتوحات أيام عثمان بن عفان حين قتل آخر ملوك الفرس يزدجرد ما نصه "وكان ذلك في السنة السادسة من خلافة عثمان بن عفان، وهي سنة ثلاثين من التاريخ، فعند ذلك انقضى ملك فارس" انظر: الأخبار الطوال، ص١٤٠.
(٣٧) انظر عن نقاشات السقيفة: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣، ص١٨١. ابن هشام، السيرة النبوية، جـ٤، ص٣٣٥. الواقدي، كتاب الردة، ص٢١. الطبري، تاريخ، جـ٣، ص٢٤١.
(٣٨) انظر: عثمان الطل، مفهوم الجماعة في صدر الإسلام، ص٤٥.
(٣٩) انظر على سبيل المثال: حميد الله، الوثائق السياسية، ص١٩١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٩٦، ٤٠٠.
(٤٠) ابن سعد، الطبقات، جـ٣، ص١٨٣. البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ص٥٢٩. ابن حفبل، المسند، جـ١، ص١٠. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٩٨.
(٤١) ابن سعد، الطبقات، جـ٣، ص٢٩٥. ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٩٥. ابن شبة، تاريخ المدينة المنورة، جـ١، ص٣٦٠. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٧. الإبشيهي، المستطرف، جـ١، ص٧٨.
(٤٢) ابن سعد، الطبقات، جـ٣، ص٢٨١. ابن الجوزي، مناقب عمر بن الخطاب، ص٥٩. ابن خلدون، المقدمة، ص٤٠١.
(٤٣) انظر: ابن سعد، الطبقات، جـ٣، ص٢٩٥.
(٤٤) الجاحظ، التاج، ص١٦٢.
(٤٥) انظر عن لقب الأمير في الجاهلية والإسلام لدى: أبو البقاء، المناقب المزيدية، ص٤٠-٥٥.
(٤٦) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٤٠٩.
(٤٧) ن.م، ص٣٧٧.
(٤٨) الأصفهاني، الأغاني، جـ١٦، ص٣٢٦ انظر ص٣٢٥(قول نائلة بنت الفرافصة زوجة عثمان). المنقري، وقعة صفين، ص٢٢٩(عثمان خليفة الله). ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٤، ص٣٠١.

'Arafat, The Historical., P.276f.

(٤٩) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٤٧.

(٥٠) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤ جـ١، ص٢٠(معاوية)، ٣٤٥(عبد الملك). ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٤(عمر بن عبد العزيز). الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص٣٦٠(المهدي)؛ جـ٧، ص١٦٧(المأمون)؛ جـ٢٢، ص٢١(هشام بن عبد الملك). المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص٥٣(معاوية). المجلسي، بحار الأنوار، جـ٦٤، ص١٠٤(معاوية). القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص٤٤٥(عمر بن عبد العزيز). الصنعاني، المصنف، جـ١، ص٣٤٤.

(٥١) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢١٣(الوليد بن يزيد)؛ جـ٨، ص٢٨١، ٣٠٥، ٦١٧(المأمون). الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص٣٦٠(المهدي).

(٥٢) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٣٦٠؛ جـ٥، ص١٦٩؛ جـ٨، ص٥١٤، ٦٣٤؛ جـ٩، ص٣٦٦. ديوان الفرزدق، جـ١، ص١٦٥؛ جـ٢، ص٨٣٠.

(٥٣) Hans-George Beck, Das Byzantinische, P.78f. Tyan, Califat, P.439. Abel, Le Khalifate, P.33. Crone, God's Caliph, P.112.

(٥٤) العامري، السعادة والإسعاد، ص٢٠٦.

(٥٥) انظر الباب الرابع من هذا البحث الذي يتحدث عن فكرة الجبر وخلافة الله.

(٥٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٤، ص١٣٦. المنقري، وقعة صفين، ص٥١٣.

(٥٧) تزعّم القراء المعارضة أيام عثمان انظر عن هذا: جعيط، الفتنة/جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ص٨٣، ٩٩، ٢١٠، ٢٣٤، ٣٢٣.

(٥٨) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، جـ١، ص١٩١. ابن قتيبة، الإمامة، جـ١، ص ١٩٠. المسعودي، مروج الذهب، جـ٣، ص١٢، ١٩؛ جـ٥، ص١٥٢. ابن عبد ربة، العقد الفريد، جـ٣، ص٣٠٩. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ١٥، ص١٧٨. الأصفهاني، الأغاني، جـ٢٠، ص٢١٢. الطبري، تاريخ، جـ٥، ص١٦٩. البلاذري، أنساب، ق٤ جـ١، ص٢٠.

(٥٩) انظر: الجاحظ، البيان، جـ٢، ص٥٥١. الطبري، تاريخ، جـ٢٢٣. ابن قتيبة، الإمامة، جـ١، ص٢٠٣. أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٠٠، ١٠١.

(٦٠) انظر الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص٤٠٠. وكيع، أخبار القضاة، جـ١، ص٢٦٣.

(٦١) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤ جـ١، ص٣٤٥. الأصفهاني، الأغاني، جـ١١، ص٦٦؛ حـ١٦، ص٢١٠؛ جـ٢٤، ص٢١٤. ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٥، ص ٥١٢. أبو داود، سنن، جـ٤، ص٢١٠. وردت لفظة الله على العملة التي سكها عبد الملك بن مروان أنظر عن ذلك:

Walker, J., A Catalogue of the British Museum, Vol.II(Arab Byzantine and Post-reform Umayyad Coins) London 1956, P.28, 33f.

القسوس، مسكوكات الأمويين في بلاد الشام، ص٤٢-٦١.

(٦٢) ديوان جرير، ص٣٨٤. ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٤، ص٤٢٤. ابن عساكر، تهذيب تاريخ ابن عساكر، جـ٣، ص٣٩٨.

(٦٣) ديوان الفرزدق، ص١، ٣٦١. ديوان جرير، ص٣٥. الطبري، تاريخ، جـ٦، ٥٤٨.

(٦٤) ديوان جرير، ص٢٧٤، ٢٧٥. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص٤٤٥.

(٦٥) المسعودي، مروج الذهب، جـ٤، ص٢٢١٠. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ٢، ص٧١. ديوان جرير، ص٢٥٦.

(٦٦) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢٥٨. الأصفهاني، الأغاني، جـ١١، ص٣٩٢. ديوان الفرزدق، جـ١، ص١٦٥؛ ص٢٥٦.

(٦٧) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢١٧.

(٦٨) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢٢٢، ٢٧٥. المجلسي، بحار الأنوار، جـ٦٤، ص١٠٤.

(٦٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٤، ص٢١١.

(٧٠) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٤٨٦؛ جـ٨، ص٩٣، ٣١٧. الأزدي، تاريخ الموصل، ص١٦٨. الأصفهاني، الأغاني، جـ٣، ص٢٩٩؛ جـ٢٠، ص٤٢١. أبو هلال العسكري، الأوائل، ص١٠٠.

(٧١) الطبري، تاريخ، جـ٨، ص٢٢. العصفري، تاريخ، جـ٢، ص٧٠١، ٧٠٢. ديوان بشار بن برد، جـ٣، ص٩٤. الأصفهاني، الأغاني، جـ٣، ص٢٤٣، ٢٤٥.
(٧٢) الأصفهاني، الأغاني، جـ١٩، ص٢٨٥.
(٧٣) الطبري، تاريخ، جـ٨، ص٣١٧، ٣٢٧، ٣٥٠. الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص١٤؛ جـ١٩، ص٧٤. ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٣، ص٢٩٣. ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٠، ص٢١٧.
(٧٤) الأصفهاني، الأغاني، جـ٧، ص٣٠١(المأمون)؛ جـ١٩، ص٧٤(المعتصم)؛ جـ٢٠، ص٥٩(الأمين)؛ جـ٢١، ص ٢٣(المتوكل). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جـ١٤، ص١٧(الواثق). القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٦، ص٢٠٤(المعتصم). انظر: فاروق عمر، من ألقاب العباسيين: خليفة الله وظل الله، ص٣٢٧.
(٧٥) الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص٤٠٠(المهدي)؛ جـ٧، ص١٤٩(المأمون)؛ جـ١٠، ص٨٦(المنصور)؛ جـ١٤، ص٢٧١(بنو أمية). وكيع، أخبار القضاة، جـ١، ص٢٦٣(عبد الله بن الزبير).
(٧٦) ابن قتيبة، عيون الأخبار، جـ١، ص١٩٧، ١٩٨(مروان بن الحكم). ديوان جرير، ص٣٨٤(الوليد بن عبد الملك).
(٧٧) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢١٧(الوليد بن يزيد).
(٧٨) الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص٦٣(هارون الرشيد)، ص٣٦٠(المهدي). الطبري، تاريخ، جـ٨، ص٣١٧(هارون الرشيد)، ص٥١٤(الأمين).
(٧٩) يقول ابن خلدون في العلاقة بين القانون الإلهي والقانون الوضعي ما نصه "وقلّ أن يكون الأمر الشرعي مخالفاً للأمر الوجودي" – المقدمة، ص٣٤٧.
(٨٠) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٣٧٦ انظر كذلك: سيف بن عمر، كتاب الردة والفتوح، ص١٧١. البلاذري، أنساب الأشراف، جـ٥، ص٦٦، ٦٧. ابن أعثم الكوفي، الفتوح، جـ٢، ص٢١٧. العصفري، تاريخ، جـ١، ص١٨٣.
(٨١) الطبري، تاريخ، جـ٤، ص٣٧٢ انظر كذلك ص٣٧٥، ٣٩٠؛ جـ٩، ص٣٤٣(المعتز بالله). ابن سعد، الطبقات، جـ٣، ص٧٢. المالقي، التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان، ص١٢٤.
(٨٢) ابن أبي شيبة، المصنف، جـ١١، ص٩٣.
(٨٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤ جـ١، ص١١٧. انظر دعاء معاوية في عقب كل صلاة: ابن حنبل، المسند، جـ٤، ص١٠١. البخاري، الصحيح، جـ٤، ص٤٢٣. انظر كذلك مقولته في غلبة أهل الباطل على أهل الحق في: ابن أبي شيبة، المصنف، جـ١١، ص ٣٩.
(٨٤) أبو داود، سنن أبي داود، جـ٢، ص٢٦٣.
(٨٥) ابن أبي شيبة، المصنف، جـ١١، ص٩٠، ٩١. الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، جـ٤، ص٢٩٠.
(٨٦) الطبري، تاريخ، جـ٥، ص٢٢٠.
(٨٧) الطبري، تاريخ، جـ٥، ص٣٣٨.
(٨٨) الطبري، تاريخ، جـ٥، ص٤٦٣، ٤٦٤ انظر كذلك ص٣٨٦(حوار الفرزدق مع الحسين بن علي عندما خرج للكوفة). ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ١، ص٣٦٢(مقولة روح بن زنباع لأهل المدينة بشأن بيعة يزيد بن معاوية).
(٨٩) الطبري، تاريخ، جـ٥، ص٣٧٧.
(٩٠) الطبري، تاريخ، جـ٥، ص٢٦٤، ٣٦٣. انظر أيضاً ص٤٦١؛ جـ٦، ص١٦٦(عبد الله بن الزبير).
(٩١) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ، جـ١، ص٤٧٧.
(٩٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ١، ص١٥٣.
(٩٣) الطبري، تاريخ، جـ٦، ص٤٢٣.
(٩٤) الطبري، تاريخ، جـ٦، ص٥٦٧. انظر: ابن العربي، محاضرة الأبرار ومسايرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، جـ٢، ص٣٠٤.
(٩٥) أبو زرعة الدمشقي، تاريخ، جـ١، ص٤٤٧.

(٩٦) الأصفهاني، الأغاني، جـ١، ص٦٨ أنظر ص٣٠١؛ جـ٢، ص١٣٧(حديث خالد بن صفوان لهشام)؛ جـ٧، ص٨٣ (حديث المهدي في الوليد بن يزيد)، ص٢١٢-٢١٣(حديث الوليد بن يزيد مع هشام بن عبد الملك).
(٩٧) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢١٦.
(٩٨) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢٢١، ٢٢٢.
(٩٩) ابن قتيبة، المعارف، ص١٤١.
(١٠٠) القاضي عبد الجبار، ، جـ٨، ص٤.
(١٠١) الطبري، تاريخ، جـ٨، ص٨٩. انظر أيضاً: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ٣٨، ص٢١٢.
(١٠٢) الطبري، تاريخ، جـ٨، ص١٤.
(١٠٣) ن.م، ص٢٠.
(١٠٤) ن.م، ص٢٣١.
(١٠٥) ن.م، ص٤٨٩.
(١٠٦) ن.م، ص٦٦٢.
(١٠٧) ن.م، جـ٩، ص١٣٩.
(١٠٨) ن.م، ص٢٣٢. ن.م، جـ٨، ص٢٣٢.
(١٠٩) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، ص٣٣٤ (قال أحد الشعراء في رثاء عمر بن عبد العزيز: إن الذي بعث النبي محمدا جعل الخلافة في الإمام العادل).
(١١٠) أنظر: جودة، القصص والقصاص، ص١٤٣.
(١١١) إن أول من تحدث عن مغازي الرسول وسيرته عروة بن الزبير(ت ٩٤هـ/٧١٢م) وأبان بن عثمان بن عفان(ت ١١٠هـ/٧٢٨م) ووهب بن منبه(ت ١١٤هـ/٧٣٢م) وشراحبيل بن سعد(ت ١٢٣هـ/٧٤٠م) والزهري(ت ١٢٤هـ/٧٤١م) عن ذلك انظر: الدوري، بحث نشأة علم التاريخ، ص٢٠-٢٥. روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين، ص٩٩. البسنوي، محاضرة الأوائل، ص٦٧، ٦٨. حاطوم، المدخل إلى التاريخ، ص١٥٠، ١٥٩. الصنعاني، المصنف، جـ١١، ص٢٥٨(أول ما بدء بكتابة العلم وأحاديث الرسول في الفترة المروانية الأولى).
(١١٢) الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب الحديث، ص٧٨، ٧٩، ٨٢.
(١١٣) انظر: Schacht, J., The Origins., P.98ff. Van Ess, J., Theologie und Gesellschaft, I, 33.
(١١٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٢٨٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٣، ص١٧٣. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٦٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٨٠.
(١١٥) الإبشيهي، المستطرف في كل مستظرف، جـ١، ص٦٧.
(١١٦) المجلسي، بحار الأنوار، جـ٤٤، ص١١٧، ١١٨(قال عبد الله بن عباس: عنت النبوة في الصدر الأول من الإسلام الكتاب). انظر أيضا: جعيط، في السيرة النبوية/الوحي والقرآن والنبوة، ص١٢.
(١١٧) يرد مصطلح أهل السنة الجماعة لأول مرة أيام هشام بن عبد الملك(١٠٥-١٢٥هـ) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف/هشام بن عبد الملك، ص٧٨،٨٨.
(١١٨) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق/تراجم حرف العين المتلوّة بالألف، ص٦٨.
(١١٩) ابن قتيبة، المعارف، ص١٤١.
(١٢٠) انظر عن هذه الأحاديث: ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٣، ص٥٦. أبو داود، سنن، جـ٤، ص٢١١، ٢٦٣. البخاري، التاريخ الكبير، ق٢ جـ١، ص١٧٦. ابن حنبل، المسند، جـ٥، ص٢٢٠. الصنعاني، المصنف، جـ١١، ص٤٧٧. الفسوي، المعرفة والتاريخ، جـ١، ص٣٤٠.
(١٢١) أبو داود، سنن، جـ٤، ص٢٠٩. انظر كذلك: ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٥، ص٥٢. المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص٦٩. الجاحظ، رسائل(رسالة في النابته)، جـ٢، ص١٦، ١٧. ابن عساكر، تهذيب، جـ٤، ص٧٢. الأصفهاني، الأغاني، جـ٢٢، ص١٧، ١٨. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٤٦.
(١٢٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ١٥، ص٢٤٢.

(١٢٣) البلاذري، أنساب الأشراف/مخطوطالقسم الثاني، ص٥٩٨.
(١٢٤) الطبري، تاريخ، جـ٦، ص٤٦٥.
(١٢٥) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢٢١. المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٦٩. الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٣٤٦.
(١٢٦) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢٢١.
(١٢٧) المقريزي، النزاع والتخاصم، ص٣٤.
(١٢٨) الطبري، تاريخ، جـ٢، ص١٦٠. ابن ظفر، أنباء نجباء الأبناء، ص١٩.
(١٢٩) القرآن الكريم، البقرة ٤١، ٨٩، ٩١، ١٠١؛ آل عمران ٥٠، ٨١؛ النساء ٧٤؛ المائدة ٤٦. انظر كذلك: الفسوي، المعرفة والتاريخ، جـ١، ص ٣٨٠؛ جـ٢، ص٣٩٨. إخوان الصفا، جـ٣، ص٤٩٥.
(١٣٠) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، جـ٤٣، ص١٢٦.
(١٣١) الطبري، تاريخ، جـ١، ص٣٧٢.
(١٣٢) القرآن الكريم، النحل ٤٣؛ الأنبياء ٧.
(١٣٣) الطبري، جامع البيان، جـ١٤، ص١٠٧؛ جـ١٧، ص٤.
(١٣٤) الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢٢٠. انظر رسالة المأمون بشأن الخلافة لدى: صفوت، جمهرة رسائل العرب، جـ٣، ص٣٤٠-٣٤٣.
(١٣٥) رفض علماء الأمة وفقهاؤها دلالة خلافة الله انظر: صبحي، الإمامة، موسوعة الحضارة الإسلامية، جـ١، ص٤٢٨-٤٤٥.
(١٣٦) الطبري، تاريخ، جـ٩، ص٢٢١. وجاء في رسالة لمروان بن محمد للوليد بن يزيد "فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله وإقامة شرائع دينه" الطبري، تاريخ، جـ٧، ص٢١٨.
(١٣٧) انظر: الطبري، تاريخ، جـ٧، ص ٤٨٦(حديث أبي داود لأبي مسلم)؛ جـ٨، ص٩٣(خطبة المنصور)، ص١٩٣، ٤٨٧(كلام الأمين). الأصفهاني، الأغاني، جـ٤، ص٦٩(شعر أبي العتاهية في هارون الرشيد)، ص٣٦٠(قول أحد الشعراء في المهدي)؛ جـ٥، ص٣٧٤(شعر الموصلي في المأمون).
(١٣٨) صفوت، جمهرة خطب، العرب، جـ٣، ص٤٢٦.
(١٣٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٢، ص١٢٤.
(١٤٠) الأزدي، تاريخ الموصل، ص٢٦٤.
(١٤١) صفوت، جمهرة خطب العرب، جـ٣، ص٤٢٦.
(١٤٢) الأصفهاني، الأغاني، جـ١، ص٦٨.
(١٤٣) الطبري، تاريخ، جـ٩، ص٣٥٤.
(١٤٤) انظر على سبيل المثال: الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥.
(١٤٥) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

١) القرآن الكريم.
٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن محمد، "الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، بيروت (١٩٦٥م).
٣) الإبشيهي، محمد بن أحمد، "المستطرف في كل فن مستظرف" دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (ب.ت).
٤) إخوان الصفا، "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء" تحقيق بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، (ب.ت).
٥) الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس، "تاريخ الموصل"، تحقيق علي حبيبة، القاهرة، (١٩٧٠م).
٦) ابن اسحق، محمد، "السير والمغازي"، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (١٩٧٨م).
٧) الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، دار الكتاب العربي، بيروت (١٩٧٠م).
٨) الأصفهاني، علي بن الحسين، "الأغاني"، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٩٢٧٠-١٩٦١م).

٩) ابن أعثم الكوفي، أحمد، "الفتوح"، تحقيق محامد علي العباسي، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، (١٩٧١م).
١٠) البخاري، محمد بن إسماعيل،
- "التاريخ الكبير"، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، (١٣٦٠-١٣٦١هـ).
- "الصحيح"، تحقيق حسونة الحنفي، مصر، (١٣١٣هـ).
١١) البسنوي، علي دده، "محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر"، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٧٨م).
١٢) بشار بن برد، "ديوان"، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة، (١٩٥٠م).
١٣) أبو البقاء، هبة الله، "المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية" تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات، مكتبة الرسالة، عمان، الأردن، (١٩٨٤م).
١٤) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر،
- "*أنساب الأشراف*" مخطوط ق٢، نسخة استانبول السليمانية رقم ٥٩٧-٥٩٨.
- "أنساب الأشراف" جـ١، تحقيق محمد حميد الله، القاهرة، (١٩٥٩م).
- "*أنساب الأشراف/بنو شمس*" ق٤ جـ١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (١٩٧٩م).
- "*أنساب الأشراف*" جـ٥، تحقيق جويتاين، القدس، (١٩٣٦م).
- "*أنساب الأشراف/*هشام بن عبد الملك" تحقيق: خليل عثامنة، القدس، (١٩٩٣م).
- "فتوح البلدان" تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (١٩٥٦م).
١٥) الجاحظ، عمرو بن بحر:
- "البيان والتبيين"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، (١٩٦٠م).
- "التاج في أخلاق الملوك"، تحقيق محمد أديب، القاهرة، (١٩١٤م).
- "رسائل الجاحظ"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٩٦٤).
١٦) ابن الجوزي، عبد الرحمن:
- "سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز"، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٤م).
- "مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب"، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٢م).
١٧) ابن أبي الحديد، عزالدين بن هبة الدين بن محمد بن الحسين، "شرح نهج البلاغة"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٩٥٩م).
١٨) ابن حنبل، أحمد "المسند"، بيروت، (١٩٦٩م).
١٩) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت:
- "تاريخ بغداد"، القاهرة، (١٩٣١م).
- "الرحلة في طلب الحديث"، تحقيق نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٧٥م).
٢٠) ابن خلدون، "المقدمة"، حيفا، (١٩٦٠م).
٢١) ابن خلكان، شمس الدين بن أحمد بن محمد، "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٦٩م).
٢٢) أبو داوود، سليمان بن الأشعث، "سنن المصطفى"، تحقيق أحمد البنا الساعاتي، القاهرة، (١٣٤٨هـ).
٢٣) الدياربكري، حسين بن محمد بن الحسن، "تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس"، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، (ب.ت).
٢٤) الدينوري، أحمد بن داوود، "الأخبار الطوال"، تحقيق عيد المنعم عامر وجمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٩٦٠م).
٢٥) ديوان جرير، نشر محمود عبد المنعم الشوارببي، القاهرة، (١٣١٣هـ).
٢٦) الفرزدق، همام بن غالب، "ديوان"، دار صادر، بيروت، (١٩٥٩م).
٢٧) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان "سير أعلام النبلاء"، **الجزء الثالث**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٩٠م).
٢٨) أبو زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله، "تاريخ" تحقيق شكر الله بن نعمة الله التوجاني، دمشق، (١٩٨٠م).

٢٩) ابن سعد، محمد "الطبقات الكبرى"، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (١٩٥٧م).
٣٠) سيف بن عمر، التميمي، "كتاب الردة والفتوح وكتاب الجمل ومسير عائشة وعلي"، تحقيق قاسم السامرائي، لايدن، هولندا، (١٩٦٥م).
٣١) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر "تاريخ الخلفاء" تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، (١٩٩٧م).
٣٢) ابن شبة، عمر، "تاريخ المدينة المنورة"، تحقيق علي محمد دندل وياسين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٩٦م).
٣٣) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع، "المصنف"، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، (١٩٧٠-١٩٧٢م).
٣٤) الطبري، محمد بن جرير:
- "تاريخ الأنبياء والرسل والملوك"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة، (١٩٦٦-١٩٧٠م).
- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (١٩٦٨م).
٣٥) ابن ظفر، محمد بن أبي محمد بن محمد، "أنباء نجباء الأبناء"، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١٩٨٠م).
٣٦) العامري، محمد بن يوسف، "السعادة والإسعاد في السيرة الإنسانية"، تحقيق مجتبي موسوي، طهران (١٣٣٤هـ).
٣٧) ابن عبد الحكم، محمد بن عبد الله، "سيرة عمر بن عبد العزيز" تحقيق أحمد عبيد، مطبعة الاعتماد، مصر (١٩٥٤م).
٣٨) ابن عبد ربة، أحمد بن محمد، "العقد الفريد" تحقيق أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (١٩٤٠م).
٣٩) أبو عبيد، القاسم بن سلام، "الأموال"، تحقيق محمد خليل الهراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (١٩٦٨م).
٤٠) ابن العربي، محيي الدين، "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار"، دار صادر، بيروت، (ب.ت.).
٤١) العصفري، خليفة بن خياط، "التاريخ"، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، (١٩٦٧-١٩٦٨م).
٤٢) ابن عساكر، على بن الحسن بن هبة الله ،
- "تاريخ مدينة دمشق، (تراجم حرف العين المتلوة بالألف)" تحقيق شاكر فيصل وآخرون، مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٩٧٦م).
- "تاريخ مدينة دمشق" جـ٣٨، تحقيق سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٨٦م).
- "تهذيب تاريخ ابن عساكر"، تهذيب عبد القادر بدران، المكتبة العربية، دمشق، (١٣٣٢-١٣٥١هـ).
٤٣) "عهد أردشير" تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٦٧م).
٤٤) القاضي، عبد الجبار، عبد الجبار بن محمد، "فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة"، تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٧٤م).
٤٥) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم،
- "الإمامة والسياسة"، تحقيق محمد محمود الرافعي، القاهرة، (١٩٠٤م).
- "عيون الأخبار"، دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٩٥٢م).
- "المعارف"، تحقيق ثرت عكاشة، دار المعارف، مصر، (١٩٦٩م).
٤٦) القلقشندي، محمد بن علي، "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٩٢٢).
٤٧) الفسوي، يعقوب بن سفيان، "المعرفة والتاريخ"، تحقيق أكرم ضياء العمري، بغداد، (١٩٧٤-١٩٧٦م).
٤٨) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "البداية والنهاية"، مطبعة السعادة ومطبعة الخانجي، مصر، (١٣٥١هـ).
٤٩) المالقي، محمد بن يحيى بن أبي بكر، "التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان"، تحقيق محمود يوسف زايد، دار الثقافة، الدوحة، (١٩٨٥م).

٥٠) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، "الأحكام السلطانية والولايات الدينية"، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٩٦٣م).
٥١) المجلسي، محمد باقر، "بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٨٣م).
٥٢) المسعودي، علي بن الحسن، "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، دار الأندلس، بيروت، (١٩٦٥م).
٥٣) ابن منظور، محمد، "لسان العرب".
٥٤) المنقري، نصر بن مزاحم، "وقعة صفين"، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، القاهرة، (١٩٦٢م).
٥٥) ابن هشام، عبد الملك، "سيرة النبي"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (١٩٨١م).
٥٦) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهيل، "الأوائل"، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٩٨٧م).
٥٧) الواقدي، محمد بن عمر،
-"كتاب الردة ونبذة من فتوح العراق"، تهذيب محمد حميد الله، المؤسسة العالمية للطباعة والنشر، باريس، (١٩٨٩م).
- "فتوح الشام" دار الجليل للطباعة والنشر، بيروت، (ب.ت).
- "كتاب المغازي"، تحقيق مارسدن جونسن، مطبعة جامعة أكسفورد، لندن، (١٩٦٦م).
٥٨) وكيع، محمد، "أخبار القضاة"، تحقيق المراغي، مطبعة الاستقلال، القاهرة، (١٩٤٧-١٩٥٠م).

المراجع العربية

٥٩) أرنولد، توماس، "الخلافة" ترجمة جميل معطي، اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، (١٩٤٦م).
٦٠) أسد، محمد، "منهاج الحكم في الإسلام"، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٥٧م).
٦١) جب، هاملتون، "التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى"، المركز العربي للكتاب، دمشق، (ب.ت).
٦٢) جعيط، هشام
- "الفتنة/جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر"، دار الطليعة، بيروت، (١٩٩٥م).
- "في السيرة النبوية/الوحي والقرآن والنبوة"، دار الطليعة، بيروت، (١٩٩٢م).
٦٣) جودة، جمال،
- بحث: "الهجرة في صدر الإسلام/دراسة في تطور الفكر الديني والاجتماعي والسياسي في مرحلة التكوين والبناء لدولة الخلافة"، منشور في: "بحوث ودراسات مهداة إلى عبد العزيز الدوري"، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، (١٩٩٥م).
- بحث: "القصص والقصاص بين الواقع التاريخي والنظرة الفقهية" *مجلة دراسات تاريخية*، ٣٤/٣٣ سنة (١٩٨٩)، جامعة دمشق.
٦٤) حاطوم، نور الدين وآخرون "المدخل إلى التاريخ" الهلال، دمشق، (١٩٨١-١٩٨٢م).
٦٥) حميد الله، محمد، "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة"، دار النفائس، بيروت (١٩٨٣م).
٦٦) الخالدي، محمود، "قواعد نظام الحكم في الإسلام"، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، (ب.ت).
٦٧) الخضري، محمد، "إتمام الوفاء"، دار الإتحاد العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (ب.ت).
٦٨) الخطيب، عبد الكريم، "الخلافة والإمامة/ديانة وسياسة"، دار الفكر العربي، مصر، (١٩٦٣م).
٦٩) خليل، عارف، "نظام الحكم في الإسلام"، دار النفائس، عمان، الأردن، (ب.ت.).
٧٠) عبد الكريم، خليل "قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية"، مؤسسة الانتشار العربي ودار سينا للنشر، بيروت، (١٩٩٧م).
٧١) الدوري، عبد العزيز،
- "التكوين التاريخي للأمة العربية/دراسة في الهوية والوعي"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (١٩٨٤م).
- "بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (١٩٦٠م).

٧٢) رضا، محمد رشيد، "الخلافة أو الإمامة العظمى"، المكتبة السلفية، القاهرة، (١٣٤١هـ).
٧٣) روزنتال، فرانز، "علم التاريخ عند المسلمين"، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٩٨٣م).
٧٤) أبو زهرة، محمد، "تاريخ المذاهب الإسلامية"، القاهرة، (١٩٥٨م).
٧٥) شلق، الفضل، "الأمة والدولة/جدليات الجماعة والسلطة في المجال العربي الإسلامي"، دار المنتخب العربي، بيروت، (١٩٩٣م).
٧٦) سحاب، فكتور، "إيلاف قريش/رحلة الشتاء والصيف"، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء (١٩٩٢م).
٧٧) صبحي، أحمد محمود، مقال، "الإمامة"، في: موسوعة الحضارة الإسلامية، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية(مؤسسة آل البيت)، عمان، (١٩٩٣م).
٧٨) صفوت، أحمد زكي، "جمهرة خطب العرب"، القاهرة، (١٩٦٣م).
٧٩) الطل، عثمان، "مفهوم الجماعة في صدر الإسلام"، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس/فلسطين، (١٩٩٧م).
٨٠) الموردي، أبو علي،
- "نظام الحياة في الإسلام"، دار الفكر، بيروت، (١٩٥٧م).
- "نظرية الإسلام السياسية"، القاهرة، (١٩٥١م).
٨١) القسوس، نايف، "مسكوكات الأمويين في بلاد الشام"، نشر البنك العربي، عمان، (١٩٩٦م).
٨٢) أبو فارس، محمد، "النظام السياسي الإسلامي"، عمان، الأردن (١٩٨٠م).
٨٣) فاروق، عمر، بحث "من القاب الخلفاء العباسيين: خليفة الله وظل الله" *مجلة الجامعة المستنصرية*، **عدد٢**، (١٩٧١م).
٨٤) الوحيدي، فتحي، "الفقه السياسي والدستوري في الإسلام"، مطابع الهيئة الخيرية، غزة، (١٩٨٨م).

المراجع الأجنبية

85) Abel, F.G.A., “Le Khalifate. Presence Scare” in: Studio Islamica 7, (1957).
86) Arafat, W., “The Historical Background to the Elegies on ‘Uthman b. ‘Affan Attributed to Hassan b. Thabit” in: Bulletin of the school of Oriental and African Studies, **33**, (1970).
87) Beck, Hans-George, “Das Byzantinische Jahrthausand”, Muenchen, (1982).
88) Crone, P., and Hinds, M., “God’s Caliph\Religious Authority in the first Centuries of Islam”, Cambridge University Press, (1986).
89) Gibb, H. A. R., “Studies on the Civilization of Islam”, London, (1962).
90) Goldziher, I., “Muhammadanische Studien”, Leipzig, (1889).
91) Haarmann, U., “Geschischte der Arabischen Welt”, Muenchen, (1994).
92) Margoliouth, D., “The Sense of the Title Khalifat” in: A Volume of Oriental Studies Presented to E. G. Browne, Cambridge, (1922).
93) Nagel, T., “Rechtleitung und Khalifat”, Bonn, (1975).
94) Lambton, A. K., “State and Government in Medieval Islam”, Oxford, (1982).
95) Schacht, J., “The Origins of Muhammadan Jurisprudence”, Oxford, (1950).
96) Sourdel, D., “Khalifa”, in: EI^2.
97) Tyan, E., “Institutions dud roil Puplic Musliman”, **vol.1**, (Le Khalifat), Paris, (1954).
98) Rotter, G., “die Umayyaden und der Zweite Buergerkrieg(680-690)”, Wiesbaden (1982).

99) Paret, R., "Halifat Allah-Vicarus Dei: ein differenzierender Vergleich", in: Melanges d'Islamologie (festschrift A. Abel), Leiden, (1974).
100) Van Ess, J., "Theologie und Gesellschaft im 2 Jahrhundert Hidschra", New York, (1991).
101) Walker, J., "Acatalogue of the Muhammadan Coins in British Museum", Vol. **II** (Arab Byzantine and Post-Reform Umayyad Coins), London, 1056.
102) Watt, M.
- "God's Caliph: Qur'anic Interpretations and Umayyad Claims", in: Iran and Islam, ed. C. E. Bosworth, Edinburg, (1971).
- "Islam and Integration of Society" London, (1961).
- "Mohammad at Medina" Oxford, (1956).